محمود شلبي

حياة أم المؤمنين خديجة

عليها السلام

دار الجيل
بيروت - لبنان

حيـاة
أم المؤمنين خديجة
عليها السلام

محمود شلبي

حياة أم المؤمنين خديجة عليها السلام

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الإهداء

اللهم . . منك ... وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العـــالمين ..

والصلاة والسلام على خاتم النبيين ..

وبعد ..

هذه « حياة أم المؤمنين خديجة » ، رضي الله عنها وأرضاها ..

أوّل مَن آمـَن على الاطلاق ..

وأفضل نساء النبي .. صلى الله عليـه وسلم .

وأم فاطمة الزهراء ، عليها السلام ..

وأمّ المؤمنين بعد ذلك !!

أنعم الله عليّ بشرف الكتابة عنها ..

بعد أن كتبت « حياة مريم » .. و « حياة فاطمة » . و « حياة اسية » .. لتتم دائرة الكاملات . الوارد ذكرهن في قوله .. صلى الله عليه وسلم :

« حسبك من نساء العالمين ..

« مريم ابنة عمران ..

« وخديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« وآسية امرأة فرعون . »

وها هي حياتها الشريفة .. تتلألأ أمـام عينيك ..

اللهم .. صلِّ .. وسلِّم .. وبارك .. على محمَّـد .. وعلى أزواجه الأطهــار !!

١٤٠٨ هـ
١٩٨٨ م

محمود شلبي

هذه ..

هي

خديجة ؟!

حسبك من نساء العالمين ؟!

« عن أنس رضي الله عنه ..

« أن النبي .. صلى الله عليه وسلم .. قــال :

« **حسبك من نساء العالمين ..**

« **مريم ابنة عمران ..**

« **وخديجة بنت خويلد ..**

« **وفاطمة بنت محمد ..**

« **وآسية امرأة فرعون . »**

[أخرجه الترمذي]

خير نسائها ؟!

« عن عليّ ..

« سمعت رسول الله .. ﷺ .. يقول :

« خير نسائها مريم بنت عمران ..

« وخير نسائها خديجة بنت خويلد . » ..

[أخرجه مسلم]

خيرُ نسائِها خديجةُ ؟!

« عن عليٍّ .. رضي الله عنه ..

« عن النبيِّ .. ﷺ .. قال :

« خيرُ نسائها مريمُ ..

« وخيرُ نسائها خديجَةُ . »

[أخرجه البخاري]

ما غِرْتُ على امرأةٍ .. ما غِرْتُ على خديجةَ؟!

" عن عائشة .. رضي الله عنها .. قالت :

« ما غِرْتُ على امرأةٍ .. ما غِرْتُ على خديجةَ ..

« من كثرةِ ذكرِ رسولِ اللهِ .. ﷺ .. إياها ..

« قالتْ : وتزوّجني بعدَها بثلاثِ سنينَ ..

« وأمَرهُ ربُّهُ عزّ وجلّ ..

« أو جبريلُ .. عليه السلامُ ..

« أن يُبَشّرَها ببيتٍ في الجنّةِ من قصَبٍ .. »

[اخرجه البخاري]

كأنهُ لم يكن في الدنيا .. امرأةٌ إلا خديجةُ ؟!

« عن عائشة رضي الله عنها .. قالت :

« ما غِرْتُ على أحَدٍ من نساءِ النبيِّ .. ﷺ .. ما غِرْتُ على خديجةَ ..

« وما رأيتُها ..

« ولكنْ كان النبيُّ .. ﷺ .. يُكثِرُ ذِكرَها ..

« ورُبما ذبحَ الشاةَ .. ثم يُقطِّعُها أعضاءً ..

« ثم يبعَثُها في صدائقِ خديجةَ ..

« فربُما قلتُ لهُ : كأنّهُ لم يكُن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة ..

« فيقولُ : إنها كانتْ وكانتْ .. وكان لي منها ولدٌ . »

[اخرجه البخاري]

هل بشَّر النبيُّ .. ﷺ .. خديجة ؟!

« عن اسماعيلَ قالَ :

« قلتُ لعبدِ اللهِ بنِ أبي اوفى .. رضي الله عنهما : بشَّرَ النبيُّ .. ﷺ .. خديجةَ ؟

« قالَ : نعَمْ . ببيتٍ مِن قَصَبٍ[1] .. لا صَخَبَ فيه ولا نصَبَ . »

[اخرجه البخاري]

.....

(١) قال جمهور العلماء : المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف .. وقيل : قصب من ذهب منظوم بالجوهر . قال اهل اللغة : القصب من الجوهر ما استطال منه في تجويف .. ويقال لكل مجوف قصب .. والمراد بالبيت هنا القصر !

جبريل .. عليه السلام .. يقول :

فاقرأ عليها السلام .. من ربها .. ومني ؟

« عن أبي هريرة .. رضي الله عنه .. قال :

« أتى جبريلُ .. النبيَّ .. ﷺ .. فقال :

« يا رسولَ اللهِ .. هذه خديجةُ .. قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ .. أوْ طعامٌ .. أوْ شرابٌ ..

« فإذا هي أتتكَ فاقرأ عليْها السلامَ ..

« من ربها ..

« ومنّي ..

« وبشّرْها ببيتٍ في الجنّةِ .. من قَصَبٍ .. لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ .. »

[أخرجه البخاري]

« قد أتتك » أي توجهت اليك ..

« فيه إدام أو طعام أو شراب » شك من الراوي ..

« فاقرأ عليها السلام » أي سلِّم عليها من ربها ومني .. فإن قلت : كيف ردّت الجواب ؟

« قلت : بيّن ذلك الطبراني في روايته

« فقالت : هو السلام ..ومنه السلام .. وعلى جبريل السلام » !!

قلت : وعليها السلام ؟

خديجة تقول :

وعليك يا رسول الله السلام ؟!

• وللنسائي ـ من رواية أنس ـ قال :

• **قال جبريل للنبي .. ﷺ : إن الله يقرىء خديجة السلام ..**

• **يعني : فأخبرها ..**

• **فقالت : إن الله هو السلام ..**

: **وعلى جبريل السلام ..**

: **وعليك يا رسول الله السلام .. ورحمة الله وبركاته ..**

• وفي رواية ابن السنى زيادة وهي قولها :

وعلى من سمع السلام .. إلا الشيطان ..

• فإن قلت : لمّا ردّت الجواب بما ذكرنا .. هل كان جبريل عليه السلام حاضراً ؟

« قلت : بلى .. كان حاضراً ..

« فردّت عليه .. وردّت على النبي .. صلى الله تعـالى عليه وسلم .. مرتين .. ثم أخرجت الشيطان ممن سمع لأنه لا يستحق الدعاء بذلك . »

[شرح البخاري]

عليها السلام !!

عائشة قالت عنها ؟

« عن عائشة قالتْ .

« بشّرَ رسولُ اللهِ .. ﷺ .. خديجةَ بنتَ خُوَيلدٍ ..

« ببيتٍ في الجنّةِ . »

[أخرجه مسلم]

أي : ببيت من قصبَ .. أي من اللؤلؤ المجوف .. أو قصب من ذهب منظوم بالجوهر !

إني قدْ رُزقتُ حبَّها ؟!

« عن عائشةَ قالتْ : ما غِرْتُ على نساءِ النبيِّ .. ﷺ .. إلا على خديجةَ ..

« وإني لمْ أدركْها ..

« قالتْ : وكان رسولُ اللهِ .. ﷺ .. إذا ذَبَح الشاةَ فيقولُ : أرسِلوا بها إلى أصدقاءِ خديجةَ ..

« قالتْ : فأغضبتُهُ يوْماً .. فقلتُ : خديجةَ ..

« فقال رسولُ اللهِ .. ﷺ :

« إني قدْ رُزِقتُ حبَّها . »

[أخرجه مسلم]

لم يتزَوَّج على خديجةَ حتى ماتتْ؟!

« عن عائشةَ قالتْ :

« لم يتزوَّجِ النبيُّ .. ﷺ .. على خديجةَ .. حتى ماتتْ . »

[أخرجه مسلم]

عندما استأذنت اخت خديجة ..

على رسول لله .. ﷺ ؟!

« عن عائشة قالت :

« استأذَنَتْ هالةُ بنتُ خُوَيْلدٍ .. أختُ خديجةَ .. على رسولِ اللهِ .. ﷺ ..

« فعَرَفَ استئذانَ خديجةَ .. فارتاحَ لذلكَ ..

« فقالَ : اللهمَّ هالةُ بنتُ خُوَيْلدٍ ..

« فغِرْتُ .. فقلتُ : وما تذكرُ من عجوزٍ من عجائز قريشٍ .. حمراءُ الشِّدقَينِ .. هلكَتْ في الدهرِ .. فأبدَلكَ اللهُ خيراً منها .. »

[أخرجه مسلم]

« فارتاح لذلك » أي هش لمجيئها وسُرَّ بها .. لتذكره بهـا خديجة وأيامها ..

« وفي هذا كله دليل لحسن العهد .. وحفظ الود .. ورعـاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته .. واكرام أهل ذلك الصاحب ..

« حمراء الشدقين » معناه عجوز كبيرة جداً .. حتى سقطت أسنانها من الكبر .. ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان .. إنما بقي فيه حمرة لثاتها ..

« قال العلماء : الغيرة مسامح للنساء فيها .. لا عقوبة عليهن فيها .. لما جبلن عليه من ذلك .. ولهذا لم تزجر عائشة عنها ..

« قال القاضي : وعندي أن ذلك جرى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها .. »

بشّرَها ؟!

« عن عائشةَ قالت :

« ما حَسَدْتُ أحداً .. ما حسدْتُ خديجةَ ..

« وما تزوّجَني رسولُ اللهِ .. ﷺ .. إلا بعْدَ ما ماتتْ ..

« وذلكَ أنّ رسولَ اللهِ .. ﷺ .. بَشّرَهـا ببيْتٍ في الجنّة .. من قصَبٍ .. لا صَخَبَ فيهِ ولا نصَبَ . »

[أخرجه الترمذي]

و « قال : هـذا حديث حسَنٌ ..

« من قَصَبٍ .. قال : إنما يعني به قَصَبَ اللؤلو » ..

وقال ابن العربي :

« كان النبي عليه السلام .. قد انتفع بخديجة .. برأيها ومـــالها ونصرها .. فرعاها حية وميتة .. وبرّهـــا موجودة ومعدومة .. وأتى بعد موتها ما كان يعلم أنه يسرها لو كان في حياتها ..

« وقد بشرها النبي عليه السلام ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .. معنـاه عار عن الاذية .. ويريد بـه قصب اللؤلؤ .. مركباً عن الذهب والفضة ..

« **وهي أفضل نساء الأمة .. من غير خلاف ..** » !!

خيرُ نسائها خديجةُ ؟!

« عن عبدِ الله بن جعفرٍ قال :

« سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب يقولُ :

« سمعتُ رسولَ اللهِ .. ﷺ .. يقولُ :

« خَيرُ نسائها خديجةُ بنتُ خُوَيْلدٍ ..

« وخيرُ نسائها مريَمُ ابنَتُ عِمْرانَ . »

[أخرجه الترمذي]

وقال : « وهذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ » .

وقال ابن العربي :

« خير نساء قريش خديجة .. وبعدها فاطمة .. وعائشة » !!

آمنتْ بي اذ كفر الناس ؟!

« عن عائشة :

« كان رسول الله .. ﷺ .. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة .. فيحسن الثناء عليها ..

« فأدركتني الغيرة فقلت : وهل كانت إلا امرأة عجوزا .. فقد أبدلك الله خيراً منها ؟.

« فغضب حتى اهتز مقدّم شعره من الغضب .. ثم قال :

« لا .. والله ما ابدلني الله خيراً منها .. آمنَت بي إذ كفر الناس .. وصدقتني إذ كذبني الناس .. وواستني في مالهـــا إذ حرمني الناس .. ورزقني منها الولد إذ حرمني اولاد النساء ..

« فقالت عائشة : فقلت في نفسي : لا اذكرها بسيئة أبداً . »

[ابن عبد البر : الاستيعاب : ترجمة خديجة ..
وكذلك ابن حجر في الإصابة .. والسمط الثمين .]

افضل نساء اهل الجنة ؟!

وأخرج أحمد .. وأبو حاتم .. رواية أبي هريرة ... عن رسول الله .. ﷺ .. أنه قال :

« افضل نساء أهل الجنة ..

« خديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« ومريم ابنة عمران ..

« وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون . »

[الوفا بأحوال المصطفى]

سيدة نساء العالمين ؟

وروى ابن عباس ..

أن رسول الله .. ﷺ .. قال :

« سيدة نساء العالمين ..

« مريم ..

« ثم فاطمة ..

« ثم خديجة ..

« ثم آسية .. » !!

[محب الدين الطبري .. السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين .]

★

وبعد .. كانت هذه بعض مناقب .. ام المؤمنين .. خديجة بنت خويلد .. عليها السلام !!

الخطوط العريضة ..

من حياة أم المؤمنين ..

١ - ماذا قبل البعثة ؟!

متى ولد ؟

يوم الاثنين .. من شهر ربيع الاول .. في الثاني عشر من ذلك الشهر .

وضعته أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب .

وضعته يتيماً !

لقد توفي أبوه ، عبدالله بن عبد المطلب ، وهو جنين في بطن أمـــه !!

ذلك أن عبدالله خرج إلى الشام ، إلى غزة ، في عـــير من عيران قريش ، يحملونه تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة .. وعبد الله بن عبـــد المطلب يومئذ مريض . فقال : أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار . فـــأقام عندهم مريضاً شهراً .

ومضى أصحابه، فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن إبنه عبدالله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني النجار ، وهو مريض .

فبعث اليه عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة .

فرجع إلى أبيه فـــاخبره ، فحزن عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته حزناً شديداً ، ورسول لله ﷺ يومئذ جنين ، ولعبد الله ابن عبـــد المطلب يوم توفي خمس وعشرون سنة .

لقد توفي أبوه وهو جنين في بطن أمه .. وهـذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه .

وكان ذلك أول بلاء يواجه الطفل الوليد .. وإن كان لا يدري شيئاً عن تلك المعاني .. إلا أن المقادير كانت تدري ، وكانت تؤهله لأمر عظيم !

وألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً .. ليلتقي الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم والمسمى ، في الصورة والمعنى .

وشق له من اسمـه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

من لليتيم ؟

عن حليمة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة في نسوة من بني سعد نلتمس بها الرضعاء ، في سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي قمراء كانت أذمّت[1] بالركب ، ومعي صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد في ثديي ما يغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج .

وخرجت على أتاني تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ، ضعفاً وعجفاً ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل إنه يتيم تركناه . قلنا ماذا عسى ان تصنع الينا أمه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فاما أمه فماذا عسى ان تصنع الينا ؟

فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري ،

(١) أي : جاءت بما تذم عليه .

فلما لم نجد غيره ، وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى ، والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه .

فقال : لا عليك أن تفعلي ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه خيراً .

فذهبت ، فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته ، فجئت به رَحْلي ، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ! فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي !

وقام صاحبي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب ، وشربت حتى روينا ، فبتنا بخير ليلة ..

فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليمة .. والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟

فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً ، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى أن صواحبي ليقلن : ويلك يا بنت أبي ذؤيب ، هذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهي فقلن : والله إن لها لشأناً .

حتى قدمنا أرض بني سعد ، ومـــا أعلم أرضاً من ارض الله أجدب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ، ثم تروح شباعـــاً لبناً ، فنحلب ما شئنا ، وما حوالينا أو حولنا احد تبض له شاة بقطرة لبن : وإن اغنامهم لتروح جياعاً ..

حتى إنهم ليقولون لرعاتهم : ويحكم ، أنظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب ، فاسرحوا معهم .

فيسرحون مع غنمي حيث تسرح ، فتروح اغنامهم جياعـــاً ما فيها قطرة لبن ! وتروح أغنامي شباعاً لبناً ، نحلب ما شئنا .

فلم يزل الله يرينا البركة يتعرفهـا حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شباباً لا تشبه الغلمان . فوالله مـــا بلغ السنتين حتى كان غلامـاً يقوى على الأكل .

فقدمنا به على امه ، ونحن أضن شيء به ، مما رأينـــا فيه من البركة . فلما رأته امه ، قلت لها : دعينا نرجع بابننـا هذه السنة الأخرى ، فإنا نخشى عليه وباء مكة . فوالله ما زلنا بهـــا حتى قالت : نعم ..

عودة الطفل الى امه

وعادت حليمة بالصبي حيث كانت تقيم.. ثم اعادته إلى أمه بعد شهرين او ثلاثة ..

فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً ، لما يريد به من كرامته .

ولكن الأم تموت !

فلما بلغ ست سنين ..

ماذا حدث لليتيم الصغير ؟

قدمت آمنة بنت وهب به على أخواله من بني النجار بالمدينة ، تزيره إياهم ..

ثم ماذا ؟

ثم ماتت أمه وهي راجعة به إلى مكة ، ماتت بالأبواء .

وتوفيت أمه آمنة بنت وهب ، وهو ابن ست سنين !

وصار الصبي اليتيم لطيماً .. فاقداً لأبويه !

عبد المطلب يكفله

وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب بن هاشم ، بعد موت أمه آمنة بنت وهب .

فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له .

فكان رسول الله ﷺ ياتي ، وهو غلام قوي ، حتى يجلس عليه .

فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب ، إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني فوالله إن له لشاناً .

ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع

ورقّ عبد المطلب عليه رقّة لم يرقها على ولده !

وكان يقربه منه ، ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا ، وإذا نام .

فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، اوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ ، وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ، ودفن بالحجون .

وكان ﷺ وقتئذ ابن ثمان سنين .

أبو طالب يكفله

فلما توفي عبد المطلب ، قبض أبو طالب رسول الله ﷺ ، فكان يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً ، لا يحبه ولده !

وكان لا ينام إلا إلى جنبه !

ويخرج فيخرج معه .

وكذلك جعل الله حب رسول الله ﷺ شيئاً في شغاف قلوبهم ، والقى عليه محبة منه ، فما رآه عبد المطلب إلا أحبه ، وما رآه أبو طالب من بعده إلا أحبه حباً شديداً .

بحيري الراهب

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام .

فلما تهيأ للرحيل ، واجمع المسير ، صَبّ[1] به رسول الله ﷺ ، فرقّ له ، وقال أبو طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً .

فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصْرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحيري في صومعة له ، وكان اليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه ، يصير علمهم عن كتاب فيها ، يتوارثونه كابراً عن كابر .

فلما نزلوا ذلك العام ببحيري ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل

(١) صب به : اشتد ميله اليه ، ورق قلبه له .

ذلك ، فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعَاماً كثيراً ، وذلك ـ فيما يزعمون ـ عن شيء رآه وهو في صومعته : يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته في الركب ، حين أقبلوا وغمـــامة تظله من بين القوم .

ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامـة حين أظلت الشجرة ، وتهصَّرُت[1] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بَحيري نزل من صومعته ، ثم أرسل اليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فـأنا احب أن تحضْروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحركم .

قال له رجل منهم : والله ، يا بحيري ، إن لك لشأناً اليوم ، مـا كنت تصنع هـذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً !! فما شأنك اليوم ؟

قال له بَحيري : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنـكم ضَيْفٌ وقد أحببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاماً فتاكلون منه كلكم .

فـــاجتمعوا اليه ، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم ،

(١) تهصرت : مالت وتدلت .

لحداثة سنه ، وقد كان لرسول الله ﷺ يومئذ من العمر اثنتــا عشرة سنة ، تخلَّف في رحال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بَحيري في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال : يا معشر قريش ، لا يتخلفنَّ احد منكم عن طعامي .

قالوا له : يا بحيري ، ما تخلف عنك احدٌ ينبغي له ان ياتيك إلا غلاماً وهو أحدث القوم سنّاً ، فتخلف في رحالهم .

فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعُزّى إن كان لَلُؤْمٌ بنا أن يتخلف ابن عبدالله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه فاحتضنه واجلسه مع القوم .

فلما رآه بَحيري جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى اشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته .

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قــام اليه بَحيري فقال له : يا غلام ، اسالك بحق اللات والعزى الا مــا أخبرتني عما أسالك عنه ؟

وإنما قال له بَحيري ذلك لأنـه سمع قومـه يحلفون بهما .

فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسالني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قَطُّ بُغْضَهُما » .

فقال بحيري : فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه ؟

فقال له : « سلني عما بدا لك » .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيري من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

فلما فرغ اقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابني .

فقال له بَحيري : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن اخي .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حُبلى به .

قال : صدقت .. فارجع بابن اخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا ما عرفت لَيَبْغُنَّه شراً .. فإنه

كائن لابن اخيك هـذا شأن عظيم ، فاسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه ابو طالب سريعا ، حتى اقدمه مكة ، حين فرغ من تجارته بالشام .

الامين

ولقد شب رسول الله ﷺ تعـــالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من اقـذار الجـاهلية ، لـما يريد به من كرامته ورسالتـه ، حتى بلغ أن كان رجلاً افضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، واعظمهم حلمـــاً ، واصدقهم حديثاً ، واعظمهم أمانةً ، وابعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا « الأمين » لما جمع الله فيه من الأمور الصالحـــة .

يشهد حرب الفجار

فلما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة ، هاجت حرب الفِجار

بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قَيْس عَيْلان .

وكان الذي هاجها ان عُروة أجار لطيمة[1] للنعمان بن المنذر .

فقال له البَرّاض بن قَيس : أتجيرها على كنانة ؟

قال : نعم .. وعلى الخلق كله .

فخرج فيها عروة ، وخرج البراض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بالعالية غفل عروة ، فوثب عليه البَرّاض ، فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفِجار ، لأنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعا .

فأتى آت قريشا فقال : إن البرّاض قد قتل عُروة ، وهم في الشهر الحرام بعكاظ.

فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ، فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فامسكت عنهم هوازن .

ثم التقوا بعد هذا اليوم اياما ، والقوم متساندون – أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم – على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس

(١) اللطيمة : الجمال التي تحمل المسك . وإجارتها : أن يكون لها جاراً فيمنع التعدي عليها .

منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، اخرجه أعمامه معهم .

وقال رسول الله ﷺ :

« كنت انبُلُ على اعمامي » ..

أي أرد عنهم نَبْل عدوهم إذا رموهم بها .

يتزوج

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خُوَيلد .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستاجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم .

وكان قريش قوماً تجاراً .

فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت اليه ، فعرضت عليه أن

يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقـال له مَيْسَرَةُ ، فقبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها مَيْسَرَة ، حتى قـدم الشام .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

وحدثها ميسرة عن شمائله ومكارمه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة .

فلما أخبرها ميسرة بما أخبرهـا به ، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له : يا ابن عم ، إني قد رغبتُ فيك ، لقرابتك ، وشرفك في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، واعظمهن شرفاً ، واكثرهن مـالاً .

كلُّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد ، فخطبهـا اليه ، فتزوجها .

وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة .

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها ، حتى ماتت رضي الله عنها .

فولدت لرسول الله ﷺ ولد، كلهم إلا إبراهيم .

ولدت له القاسم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورُقَية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

وأكبر بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر . واكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

فاما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية ، واما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه ﷺ .

وأما إبراهيم فامه مارية ، التي أهداها اليه المقوقس صاحب اسكندرية .

وكان عمر خديجة حين تزوجها رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة .

يحتكمون اليه

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة .

فلما تم لهم هدمها ، جمعت القبائل من قريش الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود ، فاختصموا فيه .

كل قبيلة تريد ان ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا ، وتناصفوا .

فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ أسنّ قريش كلها : يا معشر قريش اجعلوا بينكم ، فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه .. ففعلوا .

فكان اول داخل رسول الله ﷺ .

فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

فلما انتهى اليه اخبروه الخبر .

فقال ﷺ : « هَلُمَّ إليَّ ثَوْباً » فاتى به ، فاخذ الحجر الأسود فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأْخذْ كل قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا بـه موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليـه .

وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل ان ينزل عليه الوحي « الأمين » .

★

وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعثـه الله إلى الناس كافـة .

حياة هادئة صافية .

فهو ابن الصحراء ، نشا فيهـا أصولاً وفروعاً .

والصحراء تطبع اهلها بالصفاء ، وتغرس في أبنائها حب الحرية ، وحب الشجاعة ، وحب الكرم ، وحب السخاء .

هذا من ناحية البيئة التي نشأ فيهـا .

أما عن السلالة فهو ابن خليل الله ، ابن إسمـاعيل ذبيح الله ،

ابن قريش سادة العرب ، ابن بني هاشم سادة قريش .

ومتى اجتمع للانسان كرم الأصول ، وكرم المنبت ، فهو الشجرة الطيبة في الأرض الطيبة .

ولقد كان رسول الله ﷺ قبل بعثته ، يُصنع صناعة خاصة على عين ربه عز وجل .

فما من شيء يؤدي إلى جماله وكماله إلا أخذ به ربه اليه .

وما من شيء يقربه من الإنسانية ، ويباعده من الكبر والجبروت إلا سلك الله به اليه سبيلاً .

هذا ابوه يموت وهو جنين في بطن امه .

ثم هذه أمه تموت وهو ابن ست سنين .

فيجتمع عليه من فقده وموتها يتمان أليمان .

والنفس إذ تحزن تفكر ويتعمق تفكيرها ، فتهتدي من حزنها إلى حقائق كانت عنها لاهية .

ليس هذا وحده ، وإنما هناك بعد ذلك موت جده عبد المطلب .. فما بلغ ﷺ ثماني سنين حتى ذهب عبد المطلب إلى ربه .

ففقد محمد ﷺ بموته جداراً ضخماً كان يستند بظهره اليه .

ولم يقف البلاء برسول الله ﷺ عند ذلك ، وإنما ساقه القدر إلى

كفالة عمه أبي طالب الرجل الفقير ذي العيال !

فتألم ﷺ ، وتعلم ، ولكنه لم يتكلم .

تعلم ان في الحياة آلاماً لا يحترق بنارها إلا من اصطلاهـا وعاناها .

وأن فيها ظروفا هي اشق على النفس من لقـــاء الموت .

ولقد كان لزامـــا ، وحتما مقضيا ، ان يمر محمد ﷺ بتلك التجارب .

وكان ذلك هو التمهيد لبناء إنسانيته الأولى قبل النبوة .

الخطوط العريضة ..

من حياة أم المؤمنين ..

٢ - البعثة ؟!

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ اربعين سنة ، بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً .

وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه .

وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فادّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لمَا آتَيْتُكُمْ من كتابٍ وحكمةٍ ، ثم جاءكُمْ رسولٌ مُصدقٌ لِمَا معكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ , قال أأقْرَرْتُمْ وَأخَذْتُمْ على ذلِكم إصْرِي ﴾

أي : ثقل ما حملتكم من عهدي ..

﴿ قالوا أقرَرْنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

(آل عمران : ٨١)

فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن

خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهـــل هذين الكتـابين .

بدء الوحي

كان أول مـــا بدأ به رسول الله ﷺ من النبوة ، الرؤيا الصادقـة .

لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جـــاءت كفلق الصبح .

وحبّب الله تعالى اليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب اليـه من أن يخلو وحده .

وكان إذا خرج لحاجتة أبعد حتى تبعد عنه البيوت ، ويفضي إلى المواضع الخفية بين جبـــال مكة ، وبطون أوديتها ، فـلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قـــال : السلام عليك يا رسول الله .

فيلتفت رسول الله ﷺ حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجـــارة .

فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

وكان رسول الله ﷺ يعتكف في حراء من كل سنة شهراً .

وكان ذلك مما تتعبد به قريش في الجاهلية .

فكان رسول الله ﷺ يعتكف ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ـ إذا ما انصرف من معتكفه ـ الكعبة ، قبل أن يدخل بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء ، كما كان يخرج لمعتكفه ..

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ :

فجاءني جبريلُ وانا نائم بنَمَطٍ من ديباجٍ فيه كتابٌ ؛ فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما اقرأ ، قال : فغَتَّني[1] به حتى ظننتُ انه الموت ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قال . قلت : ما اقرأ ؟ ، قال فغتني به حتى ظننت انه الموت ، ثم ارسلني فقال : اقرأ ، قال قلت ماذا اقرأ ؟ قال : فغتني به حتى ظننت انه الموت ، ثم ارسلني فقال اقرأ ، قال فقلت : ماذا اقرأ — ما اقول ذلك إلا افتداء منه ان يعودَ لي بمثلِ ما صنع بي فقال : ﴿ اقرأْ ، باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من عَلَقٍ * اقرأْ وربك الاكرمُ * الذي علَّمَ بالقلم ، علَّمَ الانسانَ ما لم يعلمْ ﴾ . (العلق : ١ — ٥)

قال فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عني ..

وهببت من نومي فكانما كتِبَتْ في قلبي كتاباً ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبلِ سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمدُ ، أنت رسولُ اللهِ ، وانا جبريل ، قال : فرفعتُ رأسي إلى السماءِ أنْظُرُ فإذا جبريلُ في صورةِ رجلٍ صافٍّ قدميهِ في

(١) غتني : عصرني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يغمس في الماء قهراً .

أفق السماء ، ويقول : يا محمد ، انت رسول الله ، وأنا جـــبريل ، قال : فوقفتُ انظر اليه ، فما اتقدَّمُ وما أتأخرُ ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظرُ في ناحيةٍ منهــا إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفاً ما أتقدمُ أمامي وما ارجِعُ ورائي ، حتى بَعَثَت خديجةُ رُسُلها في طلبي فبلغوا أعلى مكةَ ورجعوا اليهـا ، وانا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعـاً إلى اهلي ؛ حتى أتيت خديجة ؛ فجلست إلى فخذهــا مضيفاً[1] اليها ؛ فقالت : يا ابا القاسمِ ، اين كنت ؟. فوالله لقـد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي !. ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عَم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيدهِ إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ؛ ثم انطلقت إلى ورقة بن نَوْفل ابن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي وهو ابن عمهـا ؛ وكان ورقة قـد تنصَّر ؛ وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بمـا أخبرها به رسول الله ﷺ انـه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : قُدوسٌ قدوس ؛ والذي نفس ورقة بيده

(١) مضيفاً : مُلتصقاً بها مائلاً اليها .

لئن كنتِ صدقتيني يا خديجة ، لقد جاءه النّاموس[1] الأكبر الذي كان ياتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة ابن نوفل .

وفي رواية البخاري :

.. فرجع[2] بهـا رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زمّلوني زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ، واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتقري[3] الضيف ، وتحمـل[4] الكلّ ، وتكسب[5] المعدوم ، وتعين على نوائب الحق[6] .. فـانطلقت به خديجة حتى اتت

---

(١) الناموس : الملك الذي جاءه بالوحي .

(٢) فرجع بها : بالكلمات التي القاها اليه الملك .

(٣) تقري : تكرمه .

(٤) وتحمل : يعطي الفقير ما يريحه من ثقل تكاليف عياله .

(٥) وتكسب : تبادر إلى إعطاء الفقير .

(٦) إذا وقعت نائبة لأحد في خير أعنت فيها ، وقمت مع صاحبهما حتى يجد قواماً من عيش .

اوّل من آمن

فمضى رسول الله ﷺ على أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

وآمنت به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره .

وكانت اول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ .

لا يسمع شيئاً مما يكرهه ، من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها : تثبته وتخفف عليه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس .

فتور الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فأحزنه .

فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه ـ وهو الذي اكرمه بما اكرمه به ـ ما ودعه ربه وماقلاه . فقال تعالى : ﴿ والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ﴾ يقول : ما صرمك فتركك وما ابغضك منذ أحبك . ﴿ وللاخرةُ خيرٌ لك من الأولى ﴾ اي : لما عندي في مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ﴿ ولسوفَ يعطيك ربك فترضى ﴾ من الظهور والنصر في الدنيا ، والثواب في الآخرة ﴿ ألم يجدْكَ يتيماً فآوى . ووَجدَك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنه عليه في يتمه وفقره وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ فاما اليتيم فلا تقهرْ . وأما السائلَ فلا تنهرْ ﴾ أي : لا تكن جباراً ، ولا متكبراً ، ولا فحاشاً ، فظاً على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وأما بنعمة ربك فحدّثْ ﴾ . أي : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أي : اذكرها وادع اليها .

(الضحى : ١ ـ ١١)

فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سراً ، إلى من يطمئن اليه من أهله .

بداية فرض الصلاة

وافترضت عليه الصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ .

افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ اول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة .

فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضا لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضات كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته .

اول من آمن من الصبيان ؟

ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ وصلى معه

وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب .

وهو ابن عشر سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

أبو طالب يفاجئهما يصليان !

ويروى أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع اعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا .

فمكثا كذلك ما شاء الله ان يمكثا .

ثم إن ابا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن اخي ، ما هذا الدين الذي اراك تدين به ؟ قال : « أي عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين ابينا إبراهيم » .

فقال ابو طالب : اي ابن اخي ، إني لا استطيع ان افارق دين

آبائي ، وما كانوا عليـه ، ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه مـــا بقيت .

وقال ابو طالب لعلي : اي بني ؛ ما هذا الدين الذي انت عليه ؟

فقال : يا ابت آمنت بالله وبرسول الله ؛ وصدقت بما جاء به ؛ وصليت معه لله ؛ واتبعته .

فقال له : اما إنه لم يدعك إلا إلى خير ، فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة

ثم اسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب .

اسلام ابي بكر

ثم اسلم أبو بكر بن ابي قحافة .

فلما اسلم اظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان ابو

بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، مُحَبّباً سهلاً وكان انسب قريش لقريش ، واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف .

وكان رجالُ قومه يأتونه ويالفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته وحسن مجـالسته .

فجعـل يدعو إلى الله وإلى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه .

فاسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجـاء بهم إلى رسول الله ﷺ حـين استجابوا له ، فـأسلموا وصلوا .

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام .

فصلوا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله .

السابقون الاولون

ثم اسلم ابو عبيدة بن الجرّاح ، وابو سَلمَــــة ، والأرقم بن ابي الارقم ، وعثمان بن مَظْعُون ، وأخواه قدامةُ وعبدالله ابنا مظعون ، وعبيدة بن الحرث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب ، واسمـــاء بنت ابي بكر ، وعائشة بنت ابي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخَباب بن الأرَتّ .

واسلم عُمير بن ابي وقاص ، اخو سعد بن ابي وقاص ، وعبدالله ابن مسعود ، ومسعود بن القاريّ .

واسلم سَليط بن عَمرو ، واخوه حاطب بن عمرو .

وعياش بن ابي ربيعة ، وامرأته اسماء بنت سلامة .

وخُنَيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة .

وعبد الله بن جحش ، واخوه احمـــد بن جحش .

وجعفر بن ابي طالب ، وامرأته اسماء بنت عُمَيْس .

وحاطبُ بن الحرث ، وامرأته فـــاطمة بنت المجلّل ، واخوه حطّـــاب بن الحرث ، وامرأته فُكيهة بنت يسار .

ومعمر بن الحرث ، والسائب بن عثمان ، والمطلب بن ازهر ، وامرأته رملة بنت ابي عوف .

ونعيم بن عبدالله ، وعامر بن فُهيرة ، مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وخالد بن سعيد بن العاص ، وامرأته أَمَيْنَةُ بنت خلف .

وحاطب بن عمرو ، وابو حذيفة بن عتبة ، وواقد بن عبدالله .

وخالد وعامر وعاقل ، بنو البُكَيْر بن عبد يا ليل .

واسلم عمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .

ثم دخل الناس في الاسلام ارسالاً [1] ، من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتُحدِّث به .

الجهر بالدعوة

ثم إن الله عز وجل امر رسوله ﷺ ان يصدع بما جاءه منه ،

---

(١) طائفة بعد طائفة .

وان يبادي الناس بأمره ، وان يدعو اليـه .

وكان بين ما اخفى رسول اللة ﷺ امره واستتر به ، إلى ان امره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه .

ثم قال الله تعالى له :

﴿ فاصْدَعْ[1] بما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عن المشركينَ ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وانْذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لِمن اتبعك من المؤمنين . فان عَصَوْك فقل اني بريء مِما تعملون ﴾ .

(الشعراء : ٢١٤ ـ ٢١٦)

اول دم في الاسلام

وكان اصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ

(١) فأفرق بين الحق والباطل .

في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركـين ، وهم يصلون فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم .

فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بعظمـة بعير فشجه ، فكان اول دم أهريق في الاسلام .

بدء الصراع

فلمـا بادى رسول الله ﷺ قومـه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .

فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، واجمعوا خـلافه وعداوته .

إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليـل مستخفون .

وعطف على رسول الله ﷺ عمه أبو طـالب ، ومنعه ، وقـام دونه ، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مُظهراً لأمره لا يرده عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يرضيهم من شيء انكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم . ورأوا ان عمه ابا طالب قد عطف عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى

أبي طالب .

فقالوا : يا ابا طالب ، إن إبن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه احلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفّه عنا ، وإما أن تُخَلِّي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه .. يُظهر دين الله ، ويدعو اليه ، ثم زاد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها .

وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بعضاً عليه .

ثم انهم مَشَوْا إلى ابي طالب مرة أخرى ..

فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد اسْتَنْهَيناك من ابن اخيك فلم تنهَه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه احلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا او ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك احد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه ..

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً باسلام رسول الله ﷺ لهم ، ولا خذْلانه .

لو وضعوا الشمس في يميني ؟

ثم إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن اخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فابق عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا اطيق .

فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء ، وانه خاذله ومُسلمه ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله ﷺ : « يا عمِّ والله ، لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على ان اترُك هذا الأمر حتى يظهرَهُ الله او اهلِك فيه ما تركتُه » .

ثم استَعبر رسول الله ﷺ فبكى .. ثم قام ..

فلما وَلى .. ناداه أبو طالب فقال ، اقْبِلْ يا ابن اخي ، فقل ما أحببت فوالله لا اسلمك لشيء ابداً .

اسلم الينا ابن اخيك !

ثم إن قريشاً ـ حين عرفوا ان ابا طـــالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه ، وإجمـاعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ـ مَشوْا بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا ابا طالب ، هـذا عمارة بن الوليد اقوى فتى في قريش واجمله ، فخذه فلك ديته إذا قتل ونصره ، واتخذه ولداً فهو لك ، واسلم الينا ابن اخيـك ، هـذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه احلامهم فنقتله ، فإنمـــا هو رجل برجل .

قال : والله لبئس ما تسوُمونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، واعطيكم ابني تقتلونه ؟. هذا والله ما لا يكون أبداً .

فقال اُلمطْعم بن عَديّ : والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فمـــا أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً

فقال ابو طالب للمُطعم : والله ما انصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومُظاهرةَ القوم عليّ ، فاصنع ما بدا لك .

فاشتد الأمر ، وحميت الحرب ، وترك القوم ما كان بينهم من عهد وبادى بعضهم بعضاً .

بدء التعذيب !!

ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على مَن في القبائل منهم من اصحاب رسول الله ﷺ الذين اسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين .. يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم .

ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه ابي طالب .

وقد قام ابو طالب ــ حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون ــ في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا اليه ، وقاموا معه ، واجابوه إلى ما دعاهم اليه إلا ما كان من أبي لهب ، عدُو الله الملعون .

ماذا نقول في محمد؟

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشرَ قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويَرُدّ قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقِمْ لنا رأياً نقلْ به .

قال : بل انتم فقولوا اسمعْ .

قالوا : نقول : كاهن .

قال : لا والله ، ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزَمْزَمَةِ الكاهن ولا سَجْعه .

قالوا : فنقول : مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بِخَنْقِهِ ، ولا تَخالُجِهِ ، ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنـا الشعر كله رَجَزَهُ وهَزَجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحَّار وسحرهم ، فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم .

قالوا : فما نقول يا ابا عبد شمس ؟؟.

قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإن اصله لعَذق[1] ، وإن فرْعه لجناة[2] ، وما انتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف انه باطل . وإن اقرب القول فيـه لأن تقولوا هو ساحر ، جـاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس – حين قدموا الموسم – لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ..

....

(١) العذق : الكثير الشعب والأطراف .

(٢) لجناة : فيه تمر يجنى .

وفي ذلك من قوله :

﴿ ذرني ومن خلقتُ وحيدا . وجعلتُ له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع ان ازيدَ . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾

أي : خصيماً .

﴿ سأرْهِقُهُ صَعُودا . إنه فكَّرَ وَقَدَّر . فقُتِلَ كيف قَدَّر . ثم قُتِـــلَ كيف قَدَّرَ . ثم نَظَرَ . ثم عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ .

بسر : كره وجهه .

﴿ ثم أدْبَرَ واسْتَكْبَرَ . فقال إن هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إنْ هذا إلا قول البَشَرِ ﴾ .

وأنزل الله تعالى في رسوله ﷺ ، وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معـه ، يصنفون القول في رسول الله ﷺ ، وفيما جاء به من الله تعالى :

﴿ كما انزلنا على المُقْتَسِمِين . الذين جعلوا القرآن عِضِين ﴾ .

اي : اصنافاً .

﴿ فوربك لنَسألنهم اجمعين . عما كانوا يعملون ﴾ .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ ، لمن لقوا من النـاس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب وبلغ البلدان ذُكرَ بالمدينـــة .

ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله ﷺ ، حين ذكر ، وقبل ان يذكر ، من هذا الحي من الأوس ، والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحْبار اليهود ، وكانوا لهم حلفـاء ، ومعهم في بلادهم .

ايذاء رسول الله

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ، ومن أسلم معه منهم ، فـأغـرَوْا برسول الله ﷺ سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر والكهانة والجنون .

ورسول الله ﷺ مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفي به ، مبادٍ لهم

بما يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

وكان أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد .

فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثّر من شدة ما أصابه .

فأنزل الله تعالى عليه :

﴿ يا أيها المدثّرُ . قُمْ فأنذِرْ ﴾ .

اسلام حمزة !

مر أبو جهل برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره .

فلم يكلمه رسول الله ﷺ ، وجارية لعبدالله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك .

ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم .

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشّحاً قوسه راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له. وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر من ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم.

وكان أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة.

فلما مر بالجارية وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام؟ وجده ههنا جالساً، فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد!

فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى، ولم يقف على أحد، مُعِدّاً لأبي جهل، إذا لقيه، أن يوقع به.

فلما دخل المسجد نظر اليه جالساً في القوم فاقبل نحوه.

حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها، فشجّه شجّةً منكرة.

ثم قال: أتشتمه؟ فانا على دينه، اقول ما يقول، فرُدَّ ذلك عليّ إن استطعت.

فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل.

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله قد سببت ابن اخيه سباً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع وان حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عرض الدنيا على رسول الله

قال عُتبة بن ربيعة يوماً ، وكان سيداً ، وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فاكلمه واعرض عليه اموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا ؟

وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا اصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم اليه فكلمه .

فقام اليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن اخي إنك منا حيثُ قد علمت ، من المنزلة الرفيعة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به

جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرْت به من مضى من آبائهم ، فـــاسمع مني اعرض عليك اموراً تنظر فيها لعلك تقبل منهـــا بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ ، « قل يا ابا الوليد أسْمَع » .

قال : يا ابن اخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هــــذا الأمر مالا ، جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مـالاً . وإن كنت تريد به شرفاً سَوّدْناك علينا حتى لا نَقْطَعَ أمراً دونك . وإن كنت تريد به مُلْكاً مَلكْنـاك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رَئيّاً تراه ، لا تَستَطِيع رَدّه عن نفسك . طلبنـــا لك الطِّبّ ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نُبرئك منه ، فـإنه ربمـا غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يسمع منه قـــال : « أقدْ فرغتَ يا أبا الوليد » ؟

قال : نعم .

قال : « فاستمع مني » .

قال : افعل .

فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقوم يعلمونَ . بشيراً ونذيراً فأعرضَ اكثرُهُمْ فهم لا يسمَعون . وقالوا قلوبُنا في اكِنّةٍ ممّا تدعونا اليْهِ ﴾ .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه .

فلما سمعها منه عتبة انصت لهـــا ، والقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما ، يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : « قد سمعتَ يا ابا الوليد مـــا سمعت ، فانت وذاك » .

فقام عتبة إلى اصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب بـه !

فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا ابا الوليد ؟

قال : ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بِي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونَنّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم : فان تُصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يَظْهَرْ على العرب فمُلكه ملككم ، وعزه

عزكم ، وكنتم اسعد الناس به .

قالوا : سَحَرَكَ والله يا ابا الوليد بلسانه !

قال : هذا رأيي ، فاصنعوا مـا بدا لكم .

يسألون عنه اليهود !

ثم إن قريشاً بعثت النضر بن الحرث ، وعُقبةَ بن أبي مُعَيْط إلى علماء اليهود بالمدينـة .

وقالوا لهما : سَلاهم عن محمد ، وصِفـا لهم صفته ، واخبراهم بقوله ، فـانهم اهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى قدما المدينة ، فسالا احبار اليهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم امره ، واخبراهم ببعض قوله .

وقالا لهم : إنكم اهل التوراة ، وقد جئنـاكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .

فقالت لهما علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نـأمركم بهن ؛ فـان

اخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فرَوْا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّل ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

فأقبلا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد اخبرنا علماء اليهود أن نساله عن اشياء قد امرُونا بها ، فان اخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فرَوْا فيه رأيكم .

فجاءوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عَجَب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . واخبرنا عن الروح ما هي ؟

فقال لهم رسول الله ﷺ : « أخبرُكم بما سألتم عنه غداً »

ولم يقل إن شاء الله ..

فانصرفوا عنه ..

فمكث رسول الله ﷺ خمسَ عشرَةَ ليلة لا يحدث الله اليه في في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجفَ أهل مكة .

وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه .

وحتى أحزن رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة .

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سالوه عما سالوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتَوْا على الله ، وتركوا أمره عياناً ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم :

﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون ﴾

أي اجعلوه لغواً وباطلاً ، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبون بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه او خاصمتموه يوماً غلبكم .

اول من جهر بالقرآن

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه .

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمَنْ رجلٌ يسمِعُهُمُوه ؟

فقال عبدالله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه .

قال : دعوني .. فـإن الله سيمنعني .

فغدا ابن مسعود ، حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام .

ثم قرأ

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

رافعاً بها صوته.

﴿ الرحمن . علم القرآن ﴾ ..

ثم استقبلها يقرؤهـــا .

وتأملوه : فجعلوا يقولون . ماذا قال ابن آم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد .

فقاموا اليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ .

ثم انصرف إلى اصحـــابه ، وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ، ولــئن شئتم لأغادِيَنَّهُم بمثلها غـداً .

قالوا : لا .. حسبَك .. قد اسمعتهم ما يكرهون .

التعذيب يشتد !

ثم إنهم عَـدَوْا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه .

فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .

فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب ، والجوع ، والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ؛ فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

أَحدٌ .. أَحد !!

وكان بلالٌ صادق الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خَلَف يخرجه – إذا حميت الظهيرة – فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره .

ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللاَّتَ والعُزّى .

فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد !!

حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به .

فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟

حتى متى ؟

قال : انت الذي أفسَدْته ، فانقِذْه مما ترى .

فقال أبو بكر : افعلُ ، عندي غلام أسود أجلدُ منه ، وأقوى على دينك ، اعطيكه به .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فاعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذه فاعتقه.

صبراً آل ياسر

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبـــابيه وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة ، يعـذبونهم برمضاء مكة .

فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدُكم الجنّةُ » .

فاما أمه فقتلوها ، وهي تابى إلا الإسلام .

ابو جهل يتولى الجريمة

وكان ابو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجـال من قريش .

إذا سمع بالرجل قد اسلم ، له شرف ومنعـة ، أنّـبه وخزّاه ، وقـــال : تركت دين أبيك وهو خير منك ؟! لنسفهن حلمك ، ولنقبحن رأيك ، ولنضَعَنّ شرفك .

وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنُهْلكَنّ مالك .

وإن كان ضعيفاً ضربه واغرى به !

الهجرة الأولى الى الحبشة

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، لمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلِكاً لا يُظلمُ عنده أحدٌ ، وهي ارضُ

صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم فيه ؟ » .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحـاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنـة ، وفراراً إلى الله بدينهم .

فكانت اول هجرة كانت في الإسلام .

النجاشي يرفض تسليمهم !

عن أم سَلَمة ـ زوج النبي ﷺ ـ قالت : لمـا نزلنا ارض الحبشة ، جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، أمنّا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم ان يبعثوا إلى النجـاشي فينا رجلين منهم جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة .

ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص ، فامروهما بامرهم .

ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : ايها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منـا غلمان سفهـاء ،

فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليـك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم ، وعشائرهم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عيناً ، واعلم بما عابوا عليهم وعـــاتبوهم فيه .

ثم ارسل النجاشي إلى اصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم .

فلما جاءوا .. وقد دعـــا النجاشي اساقفته فنشروا أناجيلهم حوله .. سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحـــد من هذه الملل ؟!

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طـالب فقال له : ايهـا الملك ، كنا قوماً اهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونـــأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منـا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منـا ، نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجـارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، واداء الأمـــانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحـــارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مـــال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وامرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيـام .

ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ .

فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما حلل لنا ، فغدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم .

فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ .

فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا أناجيلهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرجُ من مشكاة واحدة ، انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ..

فخرجا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .. حتى قدمنا على رسول الله ﷺ

وهو بمكـة .

اسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبدالله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة .

وكان إسلام عمر ان اخته فاطمة بنت الخطاب ـ وكانت عنـد سعيد بن زيد ـ وكانت قد اسلمت واسلم بعلهـا سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان باسلامهما من عمر ، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن .

فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه ، يريد رسول الله ﷺ ، ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من اربعين من بين رجال ونساء .

ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ، وعلي ، في رجال من المسلمين ، ممن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة

ولم يخرج فيمن خرج إلى ارض الحبشة .

فلقيه نُعيم بن عبدالله ـ وكان أيضاً يستخفي باسلامه ـ فقال له : أين تريد يا عمر ؟

فقال : أريد محمداً .. هذا الصابىء ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فاقتله .

فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر : أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟!

قال : واي أهل بيتي ؟

قال : إبن عمك سعيد بن زيد ، واختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما !

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها ، وعندهما خبّاب معه صحيفة فيها (طه[1]) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خبّاب في بعض البيت ، واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها .

وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ؛ فلما دخل

(١) سورة طه .

قال : ما هذه الهينمة التي سمعت ؟!

قالا له : ما سمعت شيئاً .

قال : بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمداً على دينه ..

وبطش بزوج أخته سعيد بن زيد ، فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها ، فضربها فشجّها .

فلما فعل ذلك قالت له اخته وزوجها : نعم لقد أسلمنا ، وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما باخْتِهِ من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد . وكان عمر كاتباً .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .

قال : لا تخافي ، وحلف لها بآلهته لَيَرُدَّنها إذا قرأها اليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نَجَسٌ على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر .

فقام عمر فاغتسل ..

فاعطته الصحيفة وفيها (طه) قرأها .

فلما قرأ منها صدراً قال : ما احسن هذا الكلام وأكرمه !!

فلما سمع ذلك خبّاب خرج اليه ، فقـــال له : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيّـدِ الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب » فـالله الله يا عمر .

فقال له عند ذلك عمر : فدُلني يا خبّاب على محمـد حتى آتيـه فاسلم .

فقال له خباب : هو في بيت عنـــد الصفا معه فيه نفر من أصحـابه .

فاخـذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمـــد إلى رسول الله ﷺ واصحابه فضرب عليهم البـــاب .

فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فنظر من خَلَلِ الباب ، فرآه متوشحـــاً السيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، وهو فزعٌ ، فقال يا رسول الله ، هـذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف .

فقال حمزة بن عبد المطلب : فأْذَنْ له ، فإن كان جـاء يريـد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلْنـــاه بسيفه .

فقال رسول الله ﷺ « أئذَن لَهُ » فـــاذن له الرجل .

ونهض اليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بِحُجْزَتِه

او بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : « مــا جاء بك يا ابنَ الخطابِ ، فوالله مـا أرى أن تَنتَهي حتى يـنزل الله بك قـارعة ؟ » .

فقـال عمر : يا رسول الله ، جئتـك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله .

فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف اهـل البيت من أصحـاب رسول الله ﷺ ان عمر قد اسلم !

فتفرق اصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا في انفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة .

وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عــدوهم .

قال عمر . لما أسلمت تلك الليلة تذكرت اي اهل مكة أشـد لرسول الله ﷺ عداوة ، حتى آتيه فاخبره أني قد اسلمت ، قلت أبو جهل ، فاقبلت حين اصبحت حتى ضربت عليه بابـه ، فخرج إليَّ أبو جهل ، فقال . مرحباً ، واهلاً يا ابن اختي ، ما جاء بك ؟ قلت . جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، فضرب الباب في وجهي ، وقــال : قبحك الله ، وقبح مـا جئت به .

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

فلما رأت قريش أن اصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا منه أمناً وقراراً ، وان النجاشي قد منع من لجـــأ اليه منهم ، وان عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبـائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هـاشم ، وبني المطلب : على أن لا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئـــاً ، ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيـــداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هـاشم ، وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فـدخلوا معه في شِعْبه ، فاجتمعوا اليه .

وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العُزّى إلى قريش ، فظاهرهم أي أعانهم .

فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ، لا يصل اليهم

شيء إلا سراً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش !

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهـــاراً ، وسراً وجهاراً ، مبادياً بأمر الله ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجعلت قريش ، يهمزونه ويستهزئون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم ، فمنهم من سُمّي لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفـــار .

عودة المهاجرين

وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلاً ، فلم يدخل أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

نقض الصحيفة

مشى هشام بن عَمْرو إلى زُهَيْر بن أبي أمية فقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تاكل الطعام وتلبس الثيـــاب ، وتنكِح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتـــاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينْكح اليهم ؟! أمـــا إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال ابي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك اليه ابداً .

قال : ويحك يا هشام !! فماذا اصنع ؟ إنما انا رجل واحد ، والله أن لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى انقضها .

قال : قد وجدت رجلاً .

قال : من هو ؟

قال : أنـــا .

قال له زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فلما تكامل الموافقون على نقض الصحيفة خمساً ، ذهبوا إلى البيت

واعلنوا نقصها .

فقال ابو جهل : هذا أمر قُضِيَ بِلَيْلٍ تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان

الاسراء والمعراج

ثم اسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ، وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها .

وكان في مسراه ، وما ذكر منه بلاءٌ وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولي الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين .

فاسرى به كيف شاء ، وكما شاء ، لِيُرِيَهُ من آياته ما أراد ، ما اراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .

أتى رسول الله ﷺ بالبُرَاق – وهي دابة تضع حافرها في منتهى طرْفها – فحمل عليها ..

فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ..

ولما فرغ من أمر بيت المقدس ، صعد إلى السماء .

ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه إلى مكة .

فصعد من سماء إلى سماء حتى جاوز السابعة .

وكلما جاء سماء تلقته منها مقربوها ، ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .

وذكروا أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .

ورفعت لرسول الله ﷺ سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة .. وغشيها عند ذلك امور عظيمة ، الوان متعددة باهرة ، وغشيها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض .

وهو الذي يقول الله تعالى :

﴿ ولقد رآه نزلة أخرى * عندَ سدْرَةِ المنتهى * عندها جنةُ المأوى * إذْ يغشَى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى ﴾

أي ما زاغ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذي حد له النظر اليه ، وهذا هو الثبـــات العظيم ، والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثـــانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ ، وعلى أمتـه الصلوات ليلتئذ ، خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل ، حتى وضعها الرب جل جلاله إلى خمس ، وقال هي خمس وهي خمسون ، الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلتئذ .

ثم هبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهيـــة العظيمـة .

فلما حانت الصلاة أمَّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فتقدمهم إماماً عن أمر جبريل .

ثم خرج منه فركب البراق ، وعاد إلى مكة !!

فاصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار ، وقد عاين في تلك الليلة من الآيات والأمور التي لو رآها – أو بعضها – غيره لأصبح مندهشاً ، أو طائش العقل .

ولكنه صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً – أي ساكناً – يخشى إن بدأ فاخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطف باخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة .

وذلك أن أبا جهل لعنه الله – رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ، وهو جالس واجم .

فقال له : هل من خبر ؟!

فقال : نعم .

فقال : وما هو ؟!

فقال : إني أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس ؟!!

قال : نعم .

قال : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما اخبرتني بـــه ؟!

قال : نعم .

فـــأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم .

فقال أبو جهل : هيا معشر قريش .. وقد اجتمعوا من أنديتهم .

فقال : أخبر قومك بما أخبرتني به .

فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، وانـه جـاء بيت المقدس هذه الليلة وصلى فيــــه !.

فمن بين مصفق ، وبين مصفر ، تكذيبـــاً له ، واستبعاداً لخبره !!

الصدّيق

وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فاخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا .

فقال : إنكم تكذبون عليـــه .

فقالوا : والله إنه ليقوله .

فقال : إن كان قاله فلقد صدق .

ثم جـــاء إلى رسول الله ﷺ ، وحوله مشركي قريش ، فسأله عن ذلك فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما اخبرهم به .

وكان مما قال ابو بكر ، وقد اقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ : يا نبي الله احدثت هؤلاء القوم انك اتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال : نعم .

قال : يا نبي الله ، فصفه لي فإني قد جئته .

فجعـــل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر ، ويقول ابو بكر صدّقت ، اشهد انك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال : صدقت ، اشهد انك رسول الله ، حتى انتهى .

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر « انت يا ابا بكر الصّدّيق » .

فيومئذ سماه الصدّيق .

تطور الصلاة

ولما اصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة واوقاتها .

وأمر رسول الله ﷺ اصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد ، والمسلمون يأتمون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقتدي بجبرائيل .

وروى ان الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس ، فرضت حضراً على ما هي عليه ، ورخص في السفر ان يصلى ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً .

وفاة خديجة وأبي طالب !!

ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بموت خديجة ، وكانت له وزير صِدْقٍ على

الاسلام يشكو اليها .

وبموت عمه ابي طالب ، وكان له عضُداً ومنعة وناصراً على قومه ، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين !!

★

أقول .. هذه هي الخطوط العريضة من .. حياة أم المؤمنين خديجة .. عليها السلام ..

والآن ندخل إلى تفصيل حياتها الطاهرة !!

نبيان عظيمان ..

في زواجهما ..

يتشابهان ..؟!

سوف

تعجب َعجَباً كبيراً .. حين تقرأ هـذا الفصل من هذا الكتاب !!

إنه فتْح جديد .. ونهج فريد ..

إنه مِنَّة َمنَّ الله بهـا .. فلله الحمـد حمداً كثيراً طيِّباً مبـاركاً فيـه !!

ماذا أريد أن اقول ؟!

لاحظت، فجاة .. أنّ هناك تشابها .. بل تطابقاً عجيبـــاً بين قصتين ..

قصة زواج نـبيّ الله .. موسى .. ﷺ ..

وقصة زواج نبيِّنا .. محمـد .. ﷺ ..

ولننظر الآن .. كيف كان ذلك ؟!

اوّلا قصة زواج موسى .. ﷺ

١ ـ شاب يفرّ إلى أرض مدين .. حيث تطارده أجهزة فرعون لتقبض عليه .. وتقدمه للإعدام ..

٢ ـ عند وصوله إلى ماء مَدْيَن .. وجد امرأتين لا تستطيعان سقي غنمهما حتى ينصرف الرعاة من أشداء الرجال ..

٣ ـ يسقي موسى لهما .. ثم ينصرف إلى الظلّ .. وقد بلغ بـه الإعياء والجوع منتهاه ..

٤ ـ ينادي ربه :

﴿ ربِّ .. إني لما انزلتَ إليَّ من خير فقير ٌ . ﴾

٥ ـ ﴿ فجاءَته ُ إحداهمـا تمشي على استحياء .. قـالتْ : إنّ أبي يدعوك .. ليجزيَكَ اجرَ ما سقَيْتَ لنا .. ﴾ !!

٦ ـ يطلب اليها موسى ان يتقدمها في المسير .. فيسير أمامهـا وهي من ورائه !!

٧ ـ تأمل هنا التدبير الإلهي .. لتمكين الفتاة الطاهرة من رؤية

موسى .. الشاب الطاهر ..

٨ ـ الفتاة تعلن إلى أبيها من قبل :

﴿ يا ابَتِ استأجِرْهُ .. إنَّ خيرَ من استأجَرْتَ القويُّ الأمينُ . ﴾ !!

٩ ـ الشيخ الكبير يخطب موسى .. الشاب الفقير .. القويّ الأمين .. إلى إحدى ابنتيه .. ويعلن ذلك إلى موسى :

﴿ إني اريد انْ أنكِحَكَ إحدَى ابنَتَيَّ هاتَيْنِ .. ﴾ !!

فهو حريص على ان يظفر به لاحداهما !!

١٠ ـ بل ويُحدد أبوهما المهر بنفسه

﴿ على ان تأجُرَني ثمانيَ حِجَج .. فان اتممتَ عَشْرا فمن عندِكَ .. ﴾ !!

١١ ـ موسى يلتقط العرض .. ويوافق .. ويختار إحدى الفتاتين ..

١٢ ـ موسى يدخل بعروسه .. ويمكث عشر سنين في حياة زوجية مباركة هادئة ..

١٣ ﴿ فلما قضى موسى الأجَلَ .. وسارَ بأهلهِ (إلى مصر) آنسَ مِن جانب الطُّور ناراً .. ﴾ !!

١٤ ـ ومن هنا بدأت مرحلة النبوة !!

ثانياً : قصة زواج .. النبيّ .. ﷺ ..

١ ـ كانت خديجة .. امرأة تاجرة ذات شرف ومال .. تستاجر الرجال في مالها .. بشيء تجعله لهم .. وكانت قريش قوماً تجاراً .. فلما بلغها عن رسول الله .. ﷺ .. ما بلغها .. من صدق حديثه .. وعظم أمانته .. وكرَم اخلاقه .. بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً .. وتعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار .. مع غلام لها يقال له مَيْسرة ..

٢ ـ فقبله رسول الله .. ﷺ .. منها .. وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامُها مَيسرة .. حتى قدِم الشام ..

٣ ـ ثم باع رسول الله .. ﷺ .. سلعته التي خرج بها .. واشترى ما أراد ان يشتري .. ثم اقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ..

٤ ـ فلما قَدِم على خديجة بمالها .. باعتْ ما جاء به .. فأضعف او قريباً ..

٥ ـ وكانت خديجة امرأة حازمةً شريفة لبيبة .. مع ما اراد الله بها من كرامته ..

٦ ـ بعثت إلى رسول الله .. ﷺ .. فقالت له ـ فيما يزعمون :

يا بن عمّ .. اني قد رغبتُ فيك .. لقرابتك .. وسِطتِكَ (شرفك) في قومك .. وامانتك .. وحُسْن خُلقك .. وصدق حديثك ..

٧ ـ ثم عرضت عليه الزواج ..

٨ ـ وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريشٍ نسباً .. وأعظمهنّ شرفاً .. واكثرهنّ مالاً .. كلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدرُ عليه ..

٩ ـ فلما قالت ذلك لرسول الله .. ﷺ .. ذكرَ ذلك لأعمامه .. فخرج معه عمّه حمزة بنُ عبد المطلب .. رحمه الله .. حتى دخل على عمّها .. فخطبها اليه ..

١٠ ـ فتزوجها ..

١١ ـ وأصدقها رسول الله .. ﷺ .. عشرين بَكرَةً ..

١٢ ـ قضى .. ﷺ .. خمسة عشر عاماً في حياة زوجية مباركة طيبة .. حتى أوحي اليه في الأربعين !!

ثالثاً : اوجه التشابه ..

١ ـ في موسى عليه السلام .. شاب فقير ﴿ إني لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ ﴾ .. وفي النبيّ ﷺ .. شاب فقير قليل المال ﴿ ووجدَكَ عائلاً فأغنىَ ﴾ !!

٢ ـ في موسى عليه السلام .. شاب قويٌّ أمينٌ ﴿ إنَّ خيرَ مَن استأجرتَ القويُّ الأمينُ ﴾ هذه شهادة إحدى ابنتي الشيخ الكبير .. وفي النبيّ (ص) .. شاب قويٌّ أمينٌ .. شهدت بذلك خديجة وأعلنته اليه (ص) (إني قد رغبتُ فيكَ .. لقرابتك .. وسِطَتِك في قومك .. وأمانتك) .. هذا عن الأمانة .. وقد شهدت مكة بذلك كلها .. وأجمعت على تسميته بالأمين .. وأما القوة فشيء طبيعي في صفاته (ص) !!

٣ ـ في موسى عليه السلام .. عرض عليه أبوهما الزواج من إحدى ابنتيه ﴿ إني أُريدُ أنْ أنكحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتينِ ﴾ فكانت مفاجأة تامة لموسى .. فهو لم يكن يخطر بباله أن يتزوج إحدى هاتين !! وفي النبيّ (ص) .. عرضت خديجة نفسها على

النبي (ص) ليتزوجها .. فكانت مفاجأة تامة للنبي (ص) .. لم يخطر بباله ذلك من قبل ..

قـــالت « نفيسة بنت مُنْيَة » :

« أرسلتني خديجة دسيساً إلى « محمد » بعد أن رجع من الشام .. فقلت : يا محمد .. ما يمنعك من أن تتزوج ؟. قال : مـا بيدي مال أتزوج به .. قلت : فإن كفيت ذلك .. ودعيت إلى الجمال والمـــال والشرف والكفاءة .. ألا تجيب ؟. قال : فمن ؟. قلت : خديجة .. قال : وكيف لي بذلك ؟. قلت : عليّ .. وأنا أفعـــل . » !!

وتأمل هنا المفاجأة فهي واضحـــة جداً !!

وأجمل العطاء أن يفجاك الله بالعطاء من حيث لا تحتسب !!

٤ ـ في موسى عليه السلام .. رغم أنه كان في تلك اللحظة لا يملك مالاً .. دفع المهر إلى عروسه .. عشر سنين من العمل .. وفي النبي (ص) .. دفع المهر إلى خديجة عليهـــا السلام « عشرين بَكرَة » !!

٥ ـ في موسى عليه السلام .. دخل بيت أبيها وكلهم يرحبون بمقدمه .. وفي النبي (ص) .. دخل بيت خديجة عليهـــا السلام .. وكل أهل البيت يرحبون بمقدمـه الشريف ..

٦ ـ في موسى عليه السلام .. قضى عشر سنين في بيت طيب طاهر .. ثم فجـاه الوحي .. وفي النبيّ (ص) .. قضى خمسة عشر

عاماً في بيت الزوجية الطاهر .. ثم فجاه الوحي في غار حراء !!

٧ ـ في موسى عليه السلام .. كانت المكرُمة التي بدرت منه .. حين سقى لهما ثم تولىّ إلى الظل .. سبباً في اكتشاف فتوته وأمانته وقوته .. ﴿ يا أبتِ استأجرْهُ إنَّ خيرَ من استأجرْتَ القويُّ الأمين ﴾ ..

وفي النبيّ (ص) .. كانت مكارم أخلاقه وأمانته في رحلته إلى الشام في تجارة خديجة .. سبباً في اكتشاف قوته وأمانته وتأكد ذلك عند خديجة عليها السلام ..

٨ ـ في موسى عليه السلام .. قام البرهان للشيخ الكبير وابنتيه على قوة موسى وأمانته .. فألقى الشيخ اليه بمقاليد أموره كلها .. وفي النبي (ص) .. قام البرهان عند خديجة على قوته وأمانته .. فألقت اليه بامورها كلها .. ومالها كله يتصرف كيف يشاء !! فتفرغت هي للبيت والزوجية .. وتركت له (ص) يتجر في مالها كيف يشاء !!

هذه بعض اوجه التشابه العجيب .. بل التطابق الغريب .. بين القصتين الشريفتين .. قصة زواج الكليم عليه السلام .. وقصة زواج الحبيب (ص) !!

فماذا في هذا ؟!!

هل هو محض صدفة ؟!!

كلا ثم كلا .. إنما هو التدبير الإلهي .. والصُنع الحكيم المُحكم ..

ما كان موسى عليه السلام .. حين تزوج ابنة الشيخ الكبير .. يعلم أنه سوف يكون نبيّاً .. ومن أولي العزم من الرُسل !!

وما كان محمد (ص) .. حين تزوج خديجة .. يعلم أنه سوف يكون خاتم النبيين .. وسيد المرسلين .. ورسول الله إلى الخَلْق كافة إلى يوم الدين !!

ولكنّ الله يعلم .. ومقتضى علمه سبحانه .. أن يصنعهما على عينه ﴿ ولِتُصنَعَ على عيني ﴾ .. ﴿ فإنكَ بأعيُنِنا ﴾ ..

مقتضى علمه سبحانه .. أن يُعدّهما .. ويصنعهما كيف يشاء ..

إنهما لا يعلمان بعد .. ماذا يراد بهما ..

ولكنّ الله عز وجل يعلم

﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يجعَلُ رسالتَه ﴾ !!

فالتشابه .. او التطـــابق .. في قصة زواجهما .. ﷺ .. ليس صدفة .. وإنما تدبير ليس كمثله تدبير

﴿ يُدَبِرُ الأمْرَ .. يُفَصّلُ الآياتِ .. ﴾ !!

وهذا التشابه إشارة عظيمة .. تؤكد لنا نحن البشر .. أنّ موسى حقٌ .. وأنّ محمداً حقٌ !!

وانّ سُنّةَ الله في الكليم .. هي سُنّة الله في الحبيب ..

هذا سوف يكون نبيّاً عظيماً ..

وذاك سوف يكون سيد الأنبياء ..

فإن تشابها في زواجهما .. فليست هي الصدفة .. وإنما هو التدبير من الله للنبيّين الكريمَين .. ليحملا من بُعد ما سوف يحملان !!

وكما اكتشفت الفتاة جوهر موسى فهتفت بأبيها ﴿ يا أَبتِ استأجرْهُ إنَّ خيرَ مَن استأجرْتَ القويُّ الأمينُ . ﴾!!

كذلك اكتشفت خديجة عليها السلام .. جوهر النبيّ ﷺ فقالت له على استحياء :

« يا بن عمّ .. إني قد رغبتُ فيك ..

« لقرابتك ..

« وسِطَتِكَ (شرفك) في قومك ..

« وامانتك ..

« وحُسن خلقك ..

« وصدق حديثك .. » !!

فدَلّت بذلك .. على عبقرية مكنونة في جوهرها ..

لقد اكتشفت أعلى .. وأغلى .. وأرقى .. وأكمل صفات البشر ..

وهذا من أقوى دلائل عبقرية خديجة !!

طُوبى لها .. حين اختارت ..

ثم طوبى لها .. حين رضي .. ﷺ.. زواجها ..

هنالك شَرُفَت شَرَفاً لم تبلغه سيدة قطّ ..

لقد صارت زوجاً .. لأشرف الخَلائق .. صلى الله عليه وسلم !!

فصارت أمّاً للمسلمين والمسلمات .. الى يوم القيامة !!

كيف تمَّ ..
الزواج ..
المبارك ..؟!

لا

أحب الخوض في التفاصيل .. ولا اطلاق الخيال في وصف حفل الزفـاف ..

كما صنع بعض مَن كتبوا في هـذا الأمر الجليل ..

ذلك أنَّ أيّ شأن من شئون النبيّ .. ﷺ .. يجب مساسه بالتوقير .. الذي فرضه الله علينا .. إذا تحدثنا عن شئون رسوله .. ﷺ ..

امتثالاً لقوله تعالى :

﴿ ما كانَ محمدٌ ابا احَدٍ مِن رجالِكم ..

﴿ ولكِن رسولَ اللهِ ..

﴿ وخاتمَ النبّيينَ ..

﴿ وكانَ اللهُ بكلّ شيءٍ عليماً . ﴾

رسولَ الله .. وخاتمَ النبيين ؟!

ومَن كان هذا مقامه .. وجب أن نغضّ أصواتنا عنده .. وأن نتكلم بحذَر !!

ولا أدري من أين لهؤلاء الذي ذهبوا يتخيلون وصفاً لحفل زفاف خديجة .. عليها السلام .. فقالوا بدَقّ الطبول وما أشبه ذلك !!

كلا ثم كلا .. بل الله اعلم بما كان .. وما ينبغي للخيال أن يكون له مكان !!

من أجل ذلك سوف نقف عند الوارد في هذا الشأن .. فنقول :

قال ابن هشام :

حديث تزويج رسول الله .. ﷺ ..
خديجة .. رضي الله عنها

• فلما بلغ رسول الله .. ﷺ .. خمساً وعشرين سنة..

• تزوّج خديجة .. بنتَ خُويلد .. بن أسد .. بن عبد العُزّى .. بن قُصَيّ .. بن كِلاب .. بن مرّة .. بن كعْب .. بن لُؤَيّ .. بن غالب ..

قال ابن إسحاق :

« وكانت خديجة بنت خوَيلد .. امرأة تاجرة ذاتَ شرف ومال ..

« تستأجر الرجال في مالها ..

« وتضاربهم[1] إياه .. بشيء تجعله لهم ..

« وكانت قريش قوماً تجاراً ..

« فلما بلغها عن رسول الله .. ﷺ .. ما بلغها .. من صدق حديثه .. وعِظم امانته .. وكرم اخلاقه .. بعثت اليه فعرَضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ..

« وتعطيه افضلَ ما كانت تُعطي غيره من التجار ..

« مع غلام لها يقال له مَيسرة ..

« فقَبله رسولُ الله .. ﷺ .. منها .. وخرج في مالها ذلك .. وخرج معه غلامها مَيسرَة حتى قدِم الشام ..

« فنزل رسول الله .. ﷺ .. في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان

« فاطلع الراهبُ إلى ميسرة فقال له : من هـذا الرجل الذي

. . . .

(١) تضاربهم .. اي تجعل لهم نصيباً في الربح .

نزل تحت هذه الشجرة ؟.

• قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهـل الحرَم ..

• فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبي ..

رغبة خديجة في الزواج منه

• ثم باع رسول الله ﷺ .. سلعته التي خرج بها .. واشترى ما أراد أن يشتري ..

• ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ..

• فكان ميسرةُ ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرةُ واشتد الحرّ .. يرى مَلَكين يُظلاّنه من الشمس .. وهو يسير على بعيره ..

• فلما قدِم مكة على خديجة بمالها .. باعتْ ما جاء به .. فأضعف أو قريباً ..

• وحدثها ميسرة عن قول الراهب ..

• وعما كان يرى من إظلال المَلَكين إياه ..

• وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة .

« مع ما أراد الله بها من كرامته ..

« فلما اخبرها ميسرة بما أخبرها به ..

« بعثت إلى رسول الله .. ﷺ .. فقالت له ـ فيما يزعمون ـ

« يابن عمّ .. إني قد رغبتُ فيك ..

« لقرابتك ..

« وسِطَتِك[1] في قومك ..

« وأمانتك ..

« وحُسْن خُلقك ..

« وصدق حديثك ..

« ثم عرضت عليه نفسها ..

« وكانت خديجة يومئذ اوسطَ نساء قريش نسباً ..

« وأعظمهنّ شرفاً ..

« واكثرهنّ مالاً ..

« كلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه ..

(١) وشرفك .

زواجه .. ﷺ من خديجة

« فلما قالت ذلك لرسول الله .. ﷺ .. ذكر ذلك لأعمـــامه ..

« فخرج معه عمُّه حمزة بنُ عبد المطلب ..

« حتى دخل على خُوَيلد بن أسد .. فخطبها اليه ..

« فتزوجهـا ..

« وأصدَقها رسول الله .. ﷺ .. عشرين بكرةً ..

« وكانت أوّل امرأة تزوجهـــا رسول الله .. ﷺ ..

« ولم يتزوّج عليها غيرها ..

« حتى ماتت .. رضي الله عنها .. »

اضافات تؤيد الصورة وضوحاً

« ويقال ان الذي نهض معه .. ﷺ هو أبو طالب .. وهو الذي خطب خطبة النـكاح ..

« وقيل : لعلهما خرجا معه جميعاً .. وخطب أبو طالب الخطبة ، لأنه كان أسنَّ من حمزة ..

« وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك .. وأن الذي أنكح خديجة رضي الله عنهـــا هو عمها عمرو بن أسد .. »

السفارة التي مهدت للزواج

قالت « نفيسة بنت مُنْية » :

« ارسلتني (خديجة) دسيساً إلى (محمد) بعد ان رجع من الشام ..

« فقلت : (يا محمد) مـــا يمنعك من أن تتزوج ؟.

• قال : ما بيدي مـــال أتزوج به ..

• قلت : فإن كفيت ذلك .. ودعيت إلى الجمال والمـــال والشرف والكفـــاءة ألا تجيب ؟.

• قال : فمن ؟.

• قلت : (خديجة) ..

• قال : وكيف لي بذلـــك ؟.

• قلت : عليّ .. وأنا أفعل . »

عقد الزواج ؟

• وجاء اليوم الموعود ..

• وذهب (محمد) لعقد الزواج ..

• وذهبت معه بنو هاشم .. وعلى رأسهم عمه (أبو طالب) وعمه (الحمزة) ..

• كما حضر معه رؤساء مصر .

• وحضر الحفـــل آل (خديجة) من بني أسد ..

« وعلى رأسهم (عمرو بن اسد) ..

« ونهض (أبو طالب) فخطب خطبة الزواج .. وكان مما قال :

« الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم .. وزرع إسماعيل ..

« وضئضئي (أصل) معد ..

« وعنصر مضر ..

« وجعلنا حضنة بيته .. وسواس حرمه ..

« وجعل لنا بيتاً محجوجاً .. وحرما آمناً .

« وجعلنا الحكام على النـاس ..

« ثم قال : إن ابن أخي هذا (محمد بن عبدالله) لا يوزن به رجل إلا رجح به ..

« فإن كان في المال قل (قليل المال) .

« فان المال ظل زائل .. وأمر حـائل (يتغير) ..

« ومحمـد من عرفتم قرابته ..

« وقد خطب (خديجة بنت خويلد) ..

« وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي ..

« وهو بعد هـذا والله نبأ عظيم .. وخطر جليل ..

« وكان مهر (خديجة) عشرين بَكرة ..

« ونهض (عمرو بن أسد) عم خديجة .. وزعيم قومه .. فردّ على (أبي طالب) .. واثنى على (محمد بن عبد الله) .

« وأعلن تزويجه من ابنـــة أخيه (خديجة) ..

« وبذلك تمت مراسم عقد الزواج بين أشرف زوجين ..

« وقد كان زواجهما بعد مجيء (محمد بن عبـــدالله) من الشام بشهرين وخمسة عشر يوماً ..

« وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين عاماً .

« وكانت – كما روى ابن أخيها – (حكيم بن حزام بن خويلد) قد بلغت الأربعين عـــاماً .. » !!

رواية ابن الاثير

ولا تختلف رواية ابن الأثير عما ذكره غيره .. ومما قال :

« فلمّـا ارسلت إلى النبيّ .. ﷺ .. قال لأعمـامه ..

« وخرج ومعه حمزة بن عبد المطّلب .. وأبو طالب وغيرهمـا

من عمومته ..

« حتى دخل على خُويلد بن أسد فخطبهــا اليه ..

« فتزوّجها ..

« فولدت له اولاده كلهم ..

« إلاّ إبراهيم ..

« وقيل : إنّ الذي زوّجها عمها عمرو بن أسد .. وإنّ أباها مات قبل الفِجار ..

« وكان الرسول بين خديجة وبين النبيّ .. ﷺ .. نفيسة بنت مُنْيَة .. وأسلمت يوم الفتح .. فبرّهــا رسول الله ﷺ .. وأكرمهــا . »

ماذا قال الامام العيني ؟!

« (بابُ (١) تزويج النبيّ .. ﷺ .. خديجةَ .. وفضلها رضي الله عنها .)

---

(١) من صحيح البخاري

« اي هذا باب في بيان تزويج النبي .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصيّ ..

« تجتمع مع رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .. في قصيّ ..

« وهي من اقرب نسائه اليه في النسَب ..

« كانت خديجة تدعى في الجـــاهلية الطاهرة ..

« تزوجها رسول الله .. صلى الله تعـــالى عليه وسلم .. في سنة خمس وعشرين من مولده – في قول الجمهور –

« وقال ابو عمر : كانت إذ تزوجها رسول الله .. صلى الله تعالى عليه وسلم .. بنت اربعين سنة ..

« وأقامت معه اربعاً وعشرين سنة ..

« وتوفيت وهي بنت اربع وستين سنة وستة اشهر ..

« وتوفيت قبل الهجرة .. بثلاث سنين ..

« يقال أنها توفيت بعد موت ابي طالب بثلاثة ايام ..

« توفيت في شهر رمضان ..

« ودفنت في الحَجون . » !!

★

أقول : هذا ما تيسر لنا جمعه في هذا الباب : كيف تمَّ الزواج المبارك ؟!.

أمّا ما وراء ذلك .. من ضرب الدفوف .. وذبح الذبائح .. فهو لا يقدّم ولا يؤخّر .. ولا يغني في الموضوع شيئاً ..

إنما الأمر الذي يعني البشرية إلى أن تقوم الساعة ..

أنّ محمداً .. ﷺ .. تزوج خديجة بنت خُوَيلد ..

أما المشاعر .. اما الأحاسيس .. التي كانت بينهما ..

فانها حَرَم اقدس .. يتحتم على الجميع .. أن يُمسكوا عن مجرد التفكير فيها .

ذلك شيء يسير .. عن اشرف زواج .. كان او يكون !!

خمس عشرة سنة ..

في ظلال حياة ..

زوجية سعيدة ؟!

من

المشهور .. انّ رسول الله .. ﷺ .. تزوج خديجة .. عليها السلام .. وهو ابن خمس وعشرين .

وأنه .. ﷺ .. بُعِث وهو في الأربعين ..

فهناك من بدء الزواج .. إلى بدء الوحي .. خمس عشرة سنة ..

فكيف كانت حياته .. ﷺ خلال تلك الفترة ؟!

وماذا كان فيها من أحداث ؟!

اولاده .. ﷺ .. من خديجة .. عليها السلام ؟!

جاء في (أسد الغابة) :

« قال قتادة : ولدت له خديجة غلامين .. وأربع بنات ..

« القاسم .. وبه كان يكنى .. وعاش حتى مشى ..

« وعبدالله .. مات صغيراً . »

« وقال الزبير : ولدت لرسول الله .. ﷺ .. القاسم وهو اكبر ولده ..

« ثم زينب ..

« ثم عبدالله .. وكان يقال له الطيب .. ويقال له الطاهر ..

« ثم مات القاسم بمكة .. وهو أوّل ميت مات من ولده ..

« ثم عبدالله مــــات أيضاً بمكة . »

« وقال الكلبي : ولد عبدالله في الإسلام .. وكل ولده منها ولد قبل الاسلام . »

« وقال الزبير : ان خديجة بنت خويلد .. ولدت لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. القـــاسم .. والطاهر .. والطيب .. و عبدالله .. وزينب .. ورُقَيَّة .. وأم كلثوم .. وفاطمة . »

اقول : الراجح أن الطاهر والطيب كانا يطلقان على « عبدالله » باعتبار أنه ولد في الاسلام ـ على قول ـ

وقال ابن هشام :

« فولدت لرسول الله .. ﷺ وَلَدَه كلهم .. إلا إبراهيم .

« القاسم .. وبه كان يُكنى .. ﷺ .. والطاهر .. والطيب[1] .. وزينب .. ورُقيّة .. وام كُلثوم .. وفاطمة .. عليهم السلام ..

قال ابن هشام :

« اكبر بنيه القاسم .. ثم الطيب .. ثم الطاهر .. واكبر بناته رُقية .. ثم زينب .. ثم أمّ كلثوم .. ثم فاطمة . »

اقول : الراجح من أقوال اخرى ان اكبر بناته زينب .. ثم رقية .. ثم أم كلثوم .. ثم فاطمة .

ترتيب المواليد ؟!

القاسم .. وكان ﷺ في نحو الثامنة والعشرين ..

زينب .. وكان ﷺ في نحو الثلاثين من عمره ..

---

(١) المعروف أنهما لقبان لعبد الله .

رقيّة .. وكان ﷺ في نحو الثالثة والثلاثين ..

أم كلثوم . وكان ﷺ في نحو الرابعة والثلاثين ..

فاطمة .. وكان ﷺ في نحو الخامسة والثلاثين ..

بعد عشر سنوات من الزواج ..

عبدالله .. (وهو الطيب والطاهر) .. وكان ﷺ قد قارب الحادية والأربعين ..

وكانت خديجة قد قاربت السادسة والخمسين من عمرهـــا ..

وقيل : (ولد عبدالله في الإسلام .. وكل ولده منها ولد قبل الاسلام .)

توفي قبل أن يتم مدة الرضاع .. وفرح المشركون بموته وقال سفيههم :

« دعوه فإنمـــا هو رجل أبتر لا عقب له .. لو هلك انقطع ذكره .. واسترحتم منه » !!

اقول : يمكن بالتامل في مختلف الروايات أن ترتيب الذرية المباركة هكذا ..

القاسم .. ثم زينب .. ثم رقيّة .. ثم أم كلثوم .. ثم فاطمة .. ثم عبدالله ..

فإذا اخذنا برواية إبن إسحاق ..

(فولدت لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم . ولَدَه كلهم قبل أن ينزل عليه الوحي) .

كان معنى هذا أن هؤلاء الستة وُلِدوا خـــلال الخمس عشرة سنة .. من بدء الزواج إلى بدء الوحي .. هـــذا من ناحية الميـلاد ..

ويذهب ابن اسحاق أن الذكور هلكوا قبـل الاسلام ..

(وأما بناته فادركن الاسلام .. فهـــاجرن معه واتبعنه وآمنّ به) .

والراجح ان القاسم مات قبل الاسلام .. وأن عبدالله (الطيب والطاهر) مات في الاسلام صغيراً ..

هذا مـا أمكن لنا استخـلاصه من الأقوال الواردة في هـــذا السبيـل .. والله أعـلم !!

ولكن ماذا عن الأحداث العـامة التي شارك فيهـا .. ﷺ .. خلال هذه السنين ؟!

لعل أهم هـــذه الأحداث كان .. هو هدم قريش الكعبة وبناءهــا ..

وقـد مرّ في فصـل سابق .. كيف احتكمت قريش إلى أوّل داخل المسجد .. فكان رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. هو أول داخـل ..

وكيف قالوا : هذا الأمين .. رضينا .. هذا محمد .. الخ ..

وكان ذلك سنة خمس وثلاثين من مولده .. ﷺ ..

أي بعد مرور عشر سنوات من الزواج الكريم ..

أما كيف كانت حيـــاة الزوجين الشريفين .. وكيف كانت العلاقة بينهما ؟!

فإنّ خير ما يُقال في هذا الأمر أن نقول ..

مـا ظنك بزوجٍ .. هو أشرف .. وأرقى .. وأعظم .. خَلْق الله ؟!

وما ظنك بزوجة .. هي التي وقع اختيار الله تعالى عليها .. لتكون زوجة لرسوله .. ﷺ ؟!

ما ظنك بزوجين ليس كمثلهما زوجـــان على الاطلاق ؟!

كانت حياتهما الزوجية .. أرقى حياة ..

الحبُّ المتبادل ..

الاخلاص المتبادل ..

التعاطف المتبادل ..

التراحم المتبادل ..

بل الأمر أعلى من ذلك ..

إنّـه رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

وإنها أم المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام ..

كل ما يُقال في وصف حياتها الزوجية .. من ثناءٍ .. هو دون الحقيقـة ..

فـاللهم .. صلّ .. وسلّم .. على خـير البرّية ..

وسلامٌ على زوجه .. الطاهرة الزكيّة !!

خديجة .. عليها السلام ..

في أعظم ..

لحظة في حياتها ؟!

ما هي

أعظم لحظة .. في حياة أم المؤمنين .. خديجة بنت خويلد ؟!

في رأيي .. هي اللحظة التي دخل فيها .. رسول الله .. ﷺ .. على خديجة ، يرجف فؤاده .. فقال زمّلوني .. زملوني ..

فقالت خديجة : كلا .. واللهِ ما يُخزيك اللهُ أبداً !!

نعم .. هذه هي اللحظة الكبرى ، العظمى ، من حياتها ..

جاءها يرجف فؤاده ..

فأعظمته .. ووقّرته .. وثبّتته .. وآنسته .. ولاطفته .. وأقسمت : واللهِ .. ما يُخزيك الله أبداً !!

وها هنا سر الاختيار !!

لماذا اختارها الله هي بالذات .. زوجاً له .. من دون النساء ؟!

من أجل هذه اللحظة الفاصلة .. في حياة البشر إلى أن تقوم الساعة !!

المراد سيدة عظيمة ، تقف إلى جوار النبيّ العظيم ، تشدّ من أزره ، في أخطر لحظة ..

لحظة بدء الوحي ..

شيء جديد .. في حياته ..

فمن يفهمه ، ومَن يُصدّقه ، ومَن يُعينه ؟!

إنها خديجة .. التي وقع عليها الاختيار الإلهي لأداء ذلك الدور الفذ .. الذي لا مِثل له !!

فكيف كان ذلك ؟!

بدء الوحي

عن عائشة أمّ المؤمنينَ .. أنها قالتْ :

« أوّلُ ما بُدِئ به رسولُ الله .. ﷺ .. مِنَ الوحي .. الرؤيا الصالحةُ في النومِ ..

« فكان لا يَرى رُؤيا إلا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ..

« ثم حُبّب اليهِ الخلاءُ ..

« وكان يخلو بغارِ حراءٍ ..

« فيتحنَّثُ فيه ـ وهوَ التعبُّدُ ـ الليالِيَ ذواتِ العَدَدِ .. قبل ان ينزعَ إلى أهلهِ .. ويتزوَّدُ لذلكَ ..

« ثم يرجعُ إلى خديجةَ ، فيتزوَّدُ لمثلِهـــا ..

« حتى جاءَهُ الحقُّ ، وهو في غار حراءٍ ..

« فجاءَهُ المَلَكُ ، فقال . اقْرأْ ..

« قالَ : ما أنا بقارىءٍ ..

« قال : فأخذني فغطَّني .. حـتى بَلَغَ مني الجهْـدَ .. ثم أرسَلني ..

« فقالَ : اقرَأ ..

« قلتُ : ما أنا بقارىءٍ ..

« فأخذني .. فغطني الثـانيةَ .. حتى بَلَغَ مني الجهْـدَ .. ثم ارسلني ..

« فقال : اقرَأ ..

« فقلتُ : ما أنا بقارىءٍ ..

« فأخذني .. فغطني الثالثةَ .. ثم ارسلني ..

• **فقال : ﴿ اقرَأْ باسمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ . خَلَقَ الانسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقرَأْ وربُّكَ الاكرَمُ .. ﴾**

• فرَجعَ بها رسول اللهِ .. ﷺ .. يَرْجفُ فؤادُهُ ..

• فدَخلَ على خديجةَ بنتِ خُوَيْلدٍ – رضيَ الله عنها –

• فقالَ : زمِّلوني ، زملوني ..

• فزمَّلوهُ .. حتى ذَهبَ عنه الرَّوْعُ ..

• فقال لخديجةَ ، وأخبرَها الخبرَ :

• لقدْ خشيتُ على نفسي ..

• فقالتْ خديجةُ : كلاّ .. والله ما يُخزيكَ اللهُ أبداً .. إنك لَتَصِلُ الرَّحمَ .. وتحمِلُ الكلَّ .. وتكسِبُ المعدومَ .. وتَقْري الضيفَ .. وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ ..

• فانطلقَتْ به خديجةُ ، حتى أتتْ بهِ وَرَقَةَ بنَ نَوْفل ابنَ أَسدِ بنْ عبدِ العُزَّى .. ابنَ عمِّ خديجةَ ..

• وكان امرأ تنصَّرَ في الجاهليةِ ..

• وكان يكتُبُ الكتابَ العبرانيَّ .. فيكتُبُ من الانجيل بالعبرانيةِ ما شاءَ اللهُ ان يكتبَ ..

• وكانَ شيخاً كبيراً قد عَميَ ..

« فقالتْ له خديجةُ : يا ابنَ عَمّ .. اسمعْ من ابنِ اخيكَ ..

« فقال لهُ ورَقةُ : يا ابنَ أخي .. مـــاذا ترى؟

« فأخبرَهُ رسول الله .. ﷺ . خبرَ ما رأى ..

« فقـال له ورَقَةُ : هـذا النـاموسُ الذي نَزّلَ اللهُ على موسى ..

« يا ليتني فيها جَذَعاً ..

« ليتني أكونُ حيّاً .. إذْ يُخرِجُكَ قومُكَ ..

« فقـال رسول الله .. ﷺ : أوَ مُخرجيّ هُمْ ؟

« قالَ : نعمْ .. لم يَاتِ رجلٌ قطُّ بمثل مـــا جئتَ بهِ إلا عودِيَ .. وَإن يُدرِكني يومُكَ انصُرْكَ نصراً مؤزّراً ..

« ثم لم يَنشبْ ورقةُ أن تُوُفيَ ..

« وفَترَ الوحيُ ..

« قال ابن شهابٍ : واخبرني ابو سَلمةَ ابنُ عبـدِ الرحمن .. أنّ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ الأنصاريّ قـــال وهو يُحدّثُ عن فترَةِ الوحي ، فقال في حديثه :

« بَيْنا أنا أمشي .. إذْ سمعتُ صوتـــاً من السماءِ ، فرفعت بصري ، فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراءٍ .. جالسٌ على كرْسيٍّ بين

السماءِ والأرض ، فرُعبْتُ منهُ .. فرجعتُ فقلتْ : زمّلوني .. فانزلَ اللهُ تعالى .. ﴿ يا أيها المدّثرُ قمْ فانذِرْ .. ﴾ إلى قوله : ﴿ والرّجزَ فاهجُرْ .. ﴾

« فحميَ الوحيُ وتتابَعَ .. »

[صحيح البخاري]

« يتزود » اتخاذ الزاد ، وهو الطعام الذي يستصحبه المسافر ..

« فغطني » ضغطني وعصرني ، والغط في الحديث : الخنق ..

« الجهد » الغاية والمشقة ..

« عَلَق » هو الدم الغليظ ..

« يرجف فؤاده » يخفق ويضطرب ، والفؤاد هو عين القلب ..

« الرّوْع » هو الفزع ..

« ما يُخزيك الله » من الخزي وهو الفضيحة والهوان ..

« لتصل الرحم » تحسن إلى قراباتك ..

« وتحمل الكلّ » تنفق على الضعيف واليتيم .. لأن الكلّ من لا يستقل بأمره ..

« وتكسب المعدوم » تكسب غيرك المال المعدوم ، اي تعطيه له تبرعاً ..

« وتَقري الضيف » تكرم الضيف ..

« قد تنصّر » صار نصرانياً وترك عبادة الأوثان ..

« وكان يكتب الكتاب العبرانيّ » كان يكتب من الانجيل بالعبرانية إن شاء ، وبالعربية إن شاء ..

« هذا الناموس » وهو صاحب السر ، وهو هنا جبريل عليه السلام ، وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام .. الناموس الأكبر ..

« َجذَعاً » شاباً قوياً حتى ابالغ في نصرتك ..

« مؤزراً » قوياً بليغاً ..

« لم َينشب » لم يلبث ..

« وفتر الوحي » احتبس ..

« ما انا بقارىء » ما أحسن القراءة .. او لست بقارىء البتة ..

« فرجع بها » اي بالآيات وهي قوله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ..

« يا ليتني فيها » أي في أيام النبوة ..

« اقرأ » أمر بايجاد القراءة مطلقاً .. لا تختص بمقروء دون مقروء ..

« باسم ربك » اي اقرأ مفتتحاً « باسم ربك » اي قل بسم الله الرحمن الرحيم .. ثم اقرأ ..

« ﴿ اقرأ باسم ربك الذي ﴾ إلى قوله ﴿ ما لم يعلم ﴾ هذا صدر ما أنزل على رسول الله .. ﷺ .. يوم حراء .. ثم أنزل آخرها بعد ذلك وما شاء الله ..

« خلق الانسان » إيذان بأن الانسان أشرف المخلوقات ، ثم الامتنان عليه بقوله ﴿ علم الانسان ﴾ ، يدل على ان العلم اجلّ النعم ..

« علم بالقلم » إشارة إلى العلم التعليمي ..

« علم الانسان ما لم يعلم » إشارة إلى العلم اللدني ..

« لقد خشيت على نفسي » فأجابت خديجة بكلام فيه قسم وتاكيد .. وذلك إزالة لحيرته ودهشته ..

« أو مخرجي هم ؟! » والعادة إن كل ما أتى للنفوس بغير ما تحب وتألف .. وإن كان ممن يحب ويعتقد .. يعافه ويطرده ..

الاسئلة والاجوبة

ـ لِمَ ابتدىء عليه الصلاة والسلام بالرؤيا اولاً ؟.

ـ وأجيب بأنه ابتدىء بها لئلا يفجأه الملك ، ويأتيه بصريح النبوة ولا تحتملها القوى البشرية .. فبدىء بأوائل خصال النبوة ، وتباشير الكرامة ، من صدق الرؤيا ، مع سماع الصوت ، وسلام الحجر والشجر عليه بالنبوة ، ورؤية الضوء .. ثم اكمل الله له النبوة بارسال الملك في اليقظة ، وكشف له عن الحقيقة كرامة له .

ـ لِمَ حبب اليه الخلوة ؟

ـ أجيب بأن معها فراغ القلب ..

وهي معينة على التفكر ، والبشر لا ينتقل عن طبعه إلا بالرياضة البليغة ، فحبب اليه الخلوة لينقطع عن مخالطة البشر ، فينسى المالوفات من عادته ، فيجد الوحي منه مراداً سهلاً .. ويقال كان ذلك اعتباراً وفكرة كاعتبار ابراهيم ، عليه السلام ، لمناجاة ربه والضراعة اليه ليريه السبيل إلى عبادته ..

ـ متى كان نزول المَلَك عليه ؟

ـ رُوي ان نزول المَلَك عليه بحراء ، يوم الاثنين ، لسبع عشرة خلت من رمضان .. ورسول الله .. ﷺ يومئذ ابن اربعين سنة ..

ـ ما الحكمة في غطّه ثلاث مرات ؟

ـ ليظهر في ذلك الشدة والاجتهاد في الأمور ، وأن ياخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة ، فإنه أمر ليس بالهوينا ، وكرره ثلاثا مبالغة في التثبت ..

ـ ما الخشية التي خشيها رسول الله .. ﷺ .. حيث قال : لقد خشيت على نفسي ؟

ـ قيل : خاف من الموت من شدة الرعب ، او خاف ان لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ، ولا يطيق حمل اعباء الوحي ، او العجز عن النظر إلى المَلك وخاف ان تزهق نفسه وينخلع قلبه لشدة ما لقيه عند لقائه .. او خاف من قومه ان يقتلوه .. او خاف مفارقة الوطن بسبب ذلك ، او اخبار عن الخشية التي حصلت له على غير مواطئة .. بغتة .. كما يحصل للبشر إذا دهمه أمر لا يعهده ..

ـ من أين علم رسول الله .. ﷺ .. أن الجائي اليه ،

جبريل عليه السلام لا الشيطان ، وبم عرف انه حق لا باطـل ؟

ـ أجيب بأنه كما نصب الله لنا الدليل على ان الرسول عليه السـلام صادق لا كاذب ، وهـو المعجزة ، كـذلك نصب للنبي . ﷺ .. دليلاً على أن الجائي اليه مَلَك لا شيطان ، وانه من عند الله لا من غيره ..

ـ ما الحكمة في فتور الوحي مدة ؟

ـ اجيب بأنه إنما كان كذلك ليذهب ما كان عليـــه الصلاة والسلام وجده من الروع .. وليحصل له التشوق إلى العود ..

ـ ما كان مدة الفترة ؟

ـ اجيب بأنه وقع في تاريخ أحمد بن حنبل .. أن مدة فـترة الوحي كانت ثلاث سنين ..

ـ ما الحكمة في تخصيصه عليه الصلاة والسلام التعبد بحراء من بين سائر الجبال ؟.

ـ لأنه يرى بيت ربه منه وهو عبادة ..

استنباط الاحكام

ـ فيـه دليل للجمهور أن سورة ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أول ما نزل ..

ـ فيه أن مكارم الأخلاق .. وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع الشر والمكاره .. فمن كثر خيره حسنت عاقبته ، ورجى له سلامة الدين والدنيـا ..

ـ فيه أنه ينبغي تأنيس من حصلت له مخـــافة ، وتبشيره ، وذكر أسباب السلامة له ..

- فيه ابلغ دليل .. على كال خديجة .. رضي الله تعـــالى عنها .. وجزالة رأيها .. وقوة نفسها .. وعظم فقهها .. وقـد جمعت جميع أنواع اصول المكارم وامهاتها فيه عليـه السلام .. لان الاحسـان إما إلى الاقارب ، وما الى الاجانب .. وإما بالبدن وإما بالمال .. وإما على من يستقل بأمره وإما على غيره !!!

فوائد ؟!

ـ خديجة بنت خويلد .. أم المؤمنين .. تزوجها رسول الله .. ﷺ .. وهو ابن خمس وعشرين سنة .. وهي أم أولاده كلهم ، خلا إبراهيم فمن مارية .. ولم يتزوج غيرها قبلها .. ولا عليها .. حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ـ على الأصح ـ فأقامت معه أربعاً وعشرين سنة وستة اشهر ، ثم توفيت .. وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة ايام ..

وهي اول مَن آمن من النساء .. باتفاق .. بل اول مَن آمن مطلقا !!!

★

اقول : هذا حديث الامام البخاري في صحيحه عن بدء الوحي ..

وكانت تلك مقتطفات من شرح الإمام العيني .. على ذلك الحديث الفذّ العظيم ..

لقد كانت تلك هي أعظم لحظة في حياة خديجة .. عليها السلام ..

اللحظة التي جاءها فيها ، رسول الله .. ﷺ .. يخبرها بما رأى ..

فقالت : كلا .. واللهِ .. ما يُخزيك اللهُ ابداً !!

كانت وهي تنطق بهذا القول الخالد ، تنطق حقّاً وصدْقاً ..

فارتفعت بذلك فوق نساء العالمين جميعاً ..

« خير نسائها خديجة بنت خويلد .. » !!!

كانت في تلك اللحظة .. أوّل مَن آمن على الإطلاق !!

وَجدَ فيها .. رسول الله .. ﷺ .. صوتاً يؤمن به .. أنه رسول الله حقاً وصدقاً ..

فحازت .. عليها السلام .. في تلك اللحظة .. درجة أسبق السابقين إلى الاسلام ..

شرف ؟!!. ما أعظمه من شرف ؟!!

ولحظة ما أعظمها من لحظة ؟!!

لحظة : « كلاّ .. واللهِ ؟.. ما يُخزيك اللهُ أبداً » !!!

ثورة ..

قريش ..

الحضارة ؟!

الانبياء

كل الأنبياء .. بلا استثناء .. أشد النـــاس بلاء !!

لماذا ؟!

لأنهم أعلى الناس مقاماً ..

واكبر الناس عقولاً ..

وازكى الناس نفوساً ..

فتحتم أن تكون الضريبـــة المفروضة عليهم .. صلوات الله عليهم .. اعظم الضرائب على الاطلاق ..

ذلك أن كل عطاء يقـابله بلاء ..

فمن حيث أن عطاءهم أعظم العطاء .. استوجب أن يكون بلاءهم أعظم البلاء ..

حتى لا يكون للناس حجة عند الله ..

فياتي صعلوك ويقول : لماذا أعطيتهم ؟!

الجواب : القينا عليهم من البلاء ما يوازي ما أعطينـــاهم من العطاء !!

هنالك يخنس الصعاليك .. ويطـأطئون خزايا !!

فكيف ورسول الله .. ﷺ .. سيد الأنبيـــاء ..

كيف يكون مقدار ما حَملَ من البلاء ؟!

قال تعالى :

﴿ وكانَ فَضْلُ اللهِ عليكَ عظيماً ﴾ ..

إذن .. حتماً أن يكون البلاء كذلك عظيماً !!

كيف كان ذلك ؟!

كان محمد .. عندهم .. قبل أن يُبعث .. الأمين ..

فلما بعثه الله اليهم .. ثارت ثائرتهم .. وأجمعوا أمرهم في النهاية أن يقتلوه !!

وارتفعت أصواتهم القبيحة .. كأنهم الحمير المذعورة .. تتنادى بضرورة اسكات صوت محمـد !!

فما استطاعوا أن يسكتوه .. وما استطاعوا له تحويلاً !!

لقد أعلن النبيّ .. ﷺ .. ثورة الحقّ ..

فـــأعلنوا عليه الثورة المضادة !!

أعلنوها في عنف وكبرياء .. وصلف وغبـــاء !!

أعلن النبيّ الأعظم اليهم .. أعلى ثورة في التوحيد ..

ثورة .. لا إله إلا الله !!

فواجهوها بثورة مضادة :

﴿ أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً .. إنّ هذا لشيءٌ عُجابٌ ﴾ !!

هكذا بلغوا من الغباء !!

وأعلن النبيّ الأكرم اليهم .. أرقى ثورة في المساواة ..

ثورة ..

﴿ إنّ أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم ﴾ ..

فواجهوها .. بثورة مضادة .. أنهم هم السادة .. وعلى العبيـد ألا يرفعوا رأساً !!

وهكذا .. نُكِسوا على رءوسهم .. فلا يفقهون قولاً !!

لـماذا وقفت قريش تضاد الدعوة .. وكان الظنّ أن تكون اوّل مَن يناصرهـــا ؟!

لأن الاسلام جاء يُسقط ما هم عليه من اوهـــام مقدسة .. وضلالات متعفنة ..

والانسان لا يتحول عن سلوكه إلا في صعوبة بالغة ..

فلما عجزت قريش وأعيتها الحيل .. تنادَوْا بتعذيب من تابع محمداً من المستضعفين ..

ولجأوا في ذلك إلى أخس الأساليب .. وأدنا المؤامرات ..

وكان من تلك المؤامرات .. أن الحت أمّ جميل .. زوجة أبي لهب .. على ولدَيها .. عُتبة وعُتَيْبة .. ان يطلقا ابنتي رسول الله .. ﷺ .. رُقَيَّة .. وأم كلثوم ..

فطلّقاهما .. وعادا إلى بيت أبيهما .. بيت خديجة .. عليها السلام ».

لجأت أمّ جميل إلى ذلك .. كيداً وإغاظة وانتقاماً !!

يظنون ذلك .. والله يريد أمراً .. غير ذلك ..

يريد ان يطهرهما .. من معاشرة اعداء الله !!!

عندما قالت خديجة ..

لرسول الله ﷺ ..

اني لأرجو ان تكون ..

نبي هذه الامة ؟!

قال

ابن هشام :

مبعث النبي ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً

قال ابن إسحـاق :

فلما بلغ محمدٌ رسول الله .. ﷺ .. اربعين سنةً ، بعثـه الله تعالى رحمةً للعالمين ، وكافـةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على كلّ نبيّ بعثه قبلَه بالإيمـــان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، واخذ عليهم ان يؤدّوا ذلك إلى كلّ مَنْ آمن بهم وصدّقهم ، فأدّوا من ذلك مـــا كان عليهم من الحقّ فيه .

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليـه وسلم :

﴿ وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جاءكُمْ رسُولٌ مُصَدّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لتُؤمِنُنَّ بهِ ولتَنْصُرُنَّهُ ، قال ، أقرَرْتمْ واخَذْتمْ على ذلِكمْ اصْري ﴾ ..

أي ثِقل ما حمَّلتكم من عَهْدِي .

« قالُوا اقرَرْنا » .

« قالَ فاشهَدُوا وأنا مَعَكمْ مِنَ الشَّاهدينَ » .

فأخذ الله ميثاق النَّبيِّين جميعـاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وادّوْا ذلك إلى مَنْ آمن بهم وصدّقهم من اهـل هـذين الكتابين .

اول ما بدى به الرسول ﷺ

الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحـاق :

فذكر الزُّهريّ عن عرْوة بن الزُّبير ، عن عائشة رضي الله عنها أنها حدَّثته :

انّ اوّل ما بُديء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النُّبوّة ، حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرُّؤيا الصادقـــة ، لا يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جـــاءت كفَلَق الصبح . قـــالت : وحَبّب اللهُ تعالى اليه الخَلوة ، فلم يكن شيء أحبّ اليه من ان يخلوَ وحده .

تسليم الحجارة والشجر عليه ﷺ

قال إبن إسحاق :

وحدثني عبد الملك بن عُبَيد الله بن أبي سُفْيـــان بن العلاء ابن جارية الثّقفي ، وكان واعيةً[1] ، عن اهل العلم :

أنَّ رسول الله ﷺ حين اراده الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوّة ،

---

(١) واعية : حافظاً ، والتاء فيه المبالغة .

كان إذا خرج لحاجته أبعَدَ حتى تحسَّر [1] عنه البيوتُ ويُفضي إلى شعاب [2] مكة وبُطون أوْديتها ، فلا يَمرّ رسول الله ﷺ بحجَر ولا شَجَر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت رسول الله ﷺ ، حوله وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجَر والحجارة . فمكث رسول الله ﷺ كذلك يرى ويسمع ، ما شاء اللهُ أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

ابتداء نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق :

وحدّثني وَهب بنُ كيْسان ، مولى آل الزبير ، قال :

سمعتُ عبدالله بن الزُّبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمير بن قَتادة الليثيّ : حدّثنا يا عُبيد ، كيف كان بدءْ ما ابتُدىء به ،

---

(١) تحسر عنه البيوت . تبعد عنه وينخلى عنها

(٢) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

رسول الله ﷺ من النبوّة ، حين جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال : عبيدٌ ـ وأنا حاضرٌ يُحدّث عبدَالله بن الزبير ومَنْ عنده من الناس ـ : كان رسول الله ﷺ ، يُجاور[1] في حِراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّث به قريشٌ في الجـــاهلية ، والتحنث التبرُّر .

قال إبن إسحاق :

وحدثني وهب بنُ كيسان قال :

قال عُبيد : فكان رسول الله ﷺ ، يُجاور ذلك الشَّهرَ من كل سنةٍ ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسولُ الله ﷺ جواره من شهره ذلك ، كان أوّلُ ما يبـدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبةَ ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبْعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيتـه ، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد اللهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامتـه ، من السنة التي بعثه اللهُ تعالى فيهـا ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حِراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهـــله ، حتى إذا كانت الليلةُ التي أكرمه اللهُ فيها برسالته ، ورَحِم العبادَ بهـا ،

---

(١) يجاور : يعتكف

جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ :

فجاءني جبريلُ ، وأنا نائم ، بنَمَط [1] من ديباج فيه كتابُ ، فقال اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتني [2] به حتى ظننت أنه الموت . ثم ارسلني فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ ؟

قال : فغتّني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ؛ قال ، قلت : ماذا أقرأ ؟

قال : فغتني به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي ..

فقال :

﴿ اقْرأْ باسم رَبّكَ الذي خَلَقَ . خَلَقَ الانْسانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرأْ وَرَبُّكَ الاكرَمُ . الذي عَلّمَ بالقَلَمِ . عَلّمَ الانْسان ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ..

---

(١) النمط : وعاء كالسفط .

(٢) الغت . حبس النفس .

قال : فقرأتها . ثم انتهى فانصرف عني وهببتُ من[1] نومي ، فكأنما كتبتْ في قلبي كتاباً .

قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وَسط من الجبـل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وانا جبريل ؛ قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظرُ ، فـإذا جبريـلُ في صورة رجل صافّ قَدَمَيْهِ في افق السماء يقول : يا محمـد ، أنت رسول الله وانا جبريل . قال : فوقفت انظر اليه فما أتقدّم وما أتاخر ، وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا انظر في ناحية منها ألا رأيتُه كذلك .

فما زلتُ واقفاً ما اتقدم أمامي وما ارجع ورائي ..

حتى بعثتْ خديجةُ رُسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

---

(١) في حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة « اقرأ » كان في اليقظه

رسول الله ﷺ يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه !

وانصرفتُ راجعــا الى أهلي حتى أتيتُ خديجةَ فجلستُ الى فخذها مُضيفاً[1] اليها . فقالت : يا أبا القاسم ، اينَ كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ : فقــالت : أبشر يا بنَ عمّ واثبُتْ ، فوالذي نفس خديجةَ بيَدِهِ إني لارجو ان تكون نبيَّ هذه الامّة .

---

(١) مضيفاً ملتصقاً

خديجة بين يدي ورقة تحدثه

حديث رسول الله ﷺ

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نوفل ابن أَسد بن عبد العزّى بن قُصَي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتبَ ، وسَمع من اهل التوراة والانجيل .

فاخبرته بما اخبرها به رسول الله ﷺ ، انه رأى وسمع .

فقال ورقةُ بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس[1] ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدّقتيني يا خديجةُ لقد جاءه الناموس[2] الأكبر الذي كان يـــاتي موسى ، وإنه لنبيٌّ هذه الأمة ، فقولي له : فليثبتْ .

---

(١) قدوس قدوس : أي طاهر طاهر ، واصله من التقديس ، وهو التطهير .

(٢) الناموس (في الأصل) : صاحب سر الرجل في خيره وشره ، فعبر عن الملك الذي جاءه بالوحي به .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ ، فـأخبرته بقول ورقة ابن نوفل .

فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفـــل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا بن أخي اخبرني بما رأيت وسمعت .

فأخبره رسول الله ﷺ ..

فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمـــة ، ولقد جاءك الناموس الاكبرُ الذي جـــاء موسى : وَلَتُكَذَّبَنَّه ولَتُؤْذَيَنَّه ولَتُخْرَجَنَّه ولتقاتلنه[1] ، ولئن أنا ادركتُ ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه .

ثم أدنى رأسه منه ، فقبـل يافوخـه[2] ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مـــنزله .

---

(١) الهاء في هذه الأفعال للسكت

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

امتحان خديجة برهان الوحي

قال ابن إسحاق :

وحدثني إسماعيل بن ابي حَكيم مولى آل الزبير :

انه حُدّث عن خديجة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله ﷺ : اي ابنَ عم ، أتستطيع ان تُخبرني بصاحبك هذا الذي ياتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم . قالت : فإذا جاءك فاخبرني به .

فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع .

فقال رسول الله ﷺ لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني . قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى . قال فقام رسول الله ﷺ فجلس عليها . قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى . قالت : فتحول رسول الله ﷺ فجلس على فخذها اليمنى . فقالت : هل تراه ! قال . نعم . قالت . فتحوّل فاجلس في حجري . قالت . فتحوّل رسول الله ﷺ فجلس في حجرها . قالت . هل تراه ؟ قال . نعم .

قال : فتحسرت والقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها . ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يا بن عمّ ، اثبت وابشر ، فوالله إنه لَمَلَك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق :

وقد حدثت عبدالله بن حسن هذا الحديث ، فقال :

قد سمعتُ أمي فاطمة بنت حُسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أني سمعتها تقول : أدخلتْ رسول الله ﷺ بينها وبين درْعها ، فذهب عند ذلك جبريل . فقالت لرسول الله ﷺ إن هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان .

ابتداء تنزيل القرآن !

قال ابن إسحاق :

فابتدىء رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان .

يقول الله عزّ وجل :

﴿ شَهرُ رَمَضانَ الذي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدىً للنّاس وَبَيّناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقانِ ﴾ .

وقال الله تعالى :

﴿ إنا أنزَلْناهُ في ليلةِ القَدْرِ . ومــا أدْراكَ ما لَيْلةُ القَدْرِ . ليلةُ القَدْرِ خَيرٌ مِنْ الفِ شهْرٍ . تنزّلُ الملائكَةُ والرُّوحُ فيهــا باذنِ رَبهِمْ مِنْ كلّ أمْرٍ . سَلامٌ هِيَ حتى مَطلعِ الفَجْرِ ﴾ .

وقال الله تعالى .

﴿ حم َ والكِتاب المُبينِ . إنا انزَلناهُ في ليْلةٍ مُبارَكةٍ إنا كُنّا مُنْذِرِينَ . فيها يُفرَقُ كلُّ أمْرٍ حكيمٍ . امْراً مِنْ عِندِنا إنا كُنّا مُرْسِلِينَ ﴾

وقال تعالى :

﴿ إنْ كُنتمْ آمَنتمْ باللهِ وما أنزَلنا على عَبدِنا يَوْمَ الفُرقان يَوْمَ التقَى الجمْعانِ . ﴾ .

وذلك مُلتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والُمشركين ببدر .

قال ابن إسحاق :

وحدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن حسين : أن رسول الله ﷺ التقى هو والُمشركون ببدْر يوم الجمعة ، صبيحة سَبع عشرة

من رمضان .

قال ابن إسحاق :

ثم تتامّ الوحيُ إلى رسول الله ﷺ ، وهو مؤمنٌ بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم ، والنبوّةُ اثقال ومُؤْنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا اهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يلقوْن من الناس ، وما يُرَد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول الله ﷺ على امر الله ، على ما يَلْقى من قومه من الخلاف والاذى .

اسلام خديجة بنت خويلد !

وآمنت به خديجةُ بنت خُوَيلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت اوّل من آمن بالله وبرسوله ، وصدّق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ ، لا يسمع شيئاً مما يكرَهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله

عنه بها إذا رَجع اليها . تثبّته وتخفّف عليه ، وتصدّقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

تبشير الرسول لخديجة ببيت من قصب !

قال ابن إسحاق :

وحدثني هشام بن عُروة ، عن أبيه عُروة بن الزبير ، عن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال

قال رسول الله ﷺ :

« أمِرتُ انْ أبشِّر خَديجةَ ببيتٍ من قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَب ».

قال ابن هشام : القصب (ههنا) اللؤلؤ المجوّف .

جبريل يقرىء خديجة السلام !

قـال ابن هشام :

وحدثني مَنْ اثق به ، ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ ، فقـــال : أقرىءْ خديجـةَ السلامَ من ربها . فقال رسول الله ﷺ : يا خديجة ، هـــذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلام ، وعلى جبريـل السلام .

فترة الوحي ونزول سورة الضحى !

قال ابن إسحـاق :

ثم فَتر الوحي عن رسول الله ﷺ فـترة من ذلك ، حتى شقّ ذلك عليه فـــأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى ، يُقسم له

ربه ، وهو الذي اكرمه بما اكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه .

فقال تعـالى :

﴿ والضُّحَى والليْلِ إذا سَجَى . ما ودَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَى ﴾ .

يقول : ما صَرَمك فتركك ، وما ابغضك منذ احبّك .

﴿ وللآخرةُ خَيرٌ لكَ مِنَ الأُولى ﴾ .

اي لما عندي من مَرْجعك إليَّ ، خيرٌ لك مما عجَّلت لك من الكرامة في الدنيا .

﴿ ولَسوْفَ يُعطِيكَ ربك فترْضى ﴾ .

من النُصر في الدنيا والثواب في الآخرة .

﴿ ألمْ يجِدْكَ يَتِيما فآوى . ووَجَدَكَ ضالاً فهَدَى . ووَجدَكَ عائِلا فأغْنى ﴾ .

يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ، ومنّه عليه في يُتمه وعَيلته وضلالته ، واستنقـــاذه من ذلك كله برحمته .

★

أقول: هذه دلائل عبقرية خديجة بنت خويلد ..

ـ يا أبا القاسم .. اين كُنت ؟ فوالله لقـــد بعثت رُسلي في طلبك .. حتى بلغوا مكة ، ورجعوا لي !!

انظر إلى جمال الحوار ، ورقة السؤال !!

ثم يحدثها رسول الله ﷺ ، بالذي رأى ..

فتقول : أبشر يا بنَ عمّ ..

: واثبت ..

: فوالذي نفسُ خديجةَ بيده ..

. إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة !!

اقول : هذا المشهد الخالد .. مشهد تنفرد به خديجة ، عليهـــا السلام ، من دون نساء العالم إلى يوم القيامة !!

مشهد أوّل مَن آمنَ على الإطلاق !!

مشهد : « أبشر يا بن عمّ واثبُت » !!

إنها ، تقف من ورائه ، كالطود الشامخ ..

تُظلّله بثباتها .. وحنانها .. وإيمانها اللانهائي ..

كانت في تلك اللحظة .. اعظم نساء العـــالمين ..

تقف من وراء أعظم رسول إلى العالمين ..

هنالك وهي تقول وتُقسم :

فوالذي نفس خديجة بيده .. إني لارجو ان تكون نبيَّ هذه الامّة ..

هنالك تلألأت عبقرية خديجة .. عليها السلام ..

وثبت للناس جميعاً ، لماذا اختارها الله تعالى .. زوجاً لنبيِّه .. صلى الله عليه وسلم .. في تلك المرحلة العظمى من مراحل الدعوة العُظمى ؟!

خديجة ..

أوّل من توضأ ..

وأوّل من صلى ؟!

فضيلة

أخرى من فضائل أم المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام ..

أنهـــا أوّل مَن صلى .. وأوّل مَن توضا .. من النساء على الاطـلاق !!

قـال ابن هشام :

عن عائشة ـ رضي الله عنهـا ـ قالت :

« افـتُرضت الصلاة على رسول الله ﷺ .. أول مـا افترضت عليـــه ركعتين ركعتين .. كل صلاة ، ثم إن الله تعـالى اتمها في الحضر اربعاً .. وأقرّهـــا في السفر على فرضها الأول .. ركعتين .. »

تعليم جبريل .. الرسول .. ﷺ

الوضوء والصلاة

وحدثني بغض أهل العلم :

« أن الصلاة حين افـترضت على رسول الله .. ﷺ .. أتاه جبريل وهو باعلى مكة ، فهمز له بعقبه في ناحيـــة الوادي .. فانفجرت منه عين ..

« فتوضأ جبريل عليه السلام .. ورسول الله .. ﷺ .. ينظر اليـــه ..

« ليريه كيف الطَّهور للصلاة ؟

« ثم توضأ رسول الله .. ﷺ .. كما رأى جبريل توّضا ..

« ثم قام به جبريل .. فصلى به ..

« وصلى رسول الله .. ﷺ .. بصلاته ..

« ثم انصرف جبريل عليه السلام . »

تعليم الرسول .. ﷺ ..

خديجة .. الوضوء والصلاة

« فجاء رسول الله .. ﷺ .. خديجة ..

« فتوضأ لها ..

« ليريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريـل .

« فتوضأت ..

« كما توضأ لها رسول الله .. عليه الصلاة والسلام .

« ثم صلى بها رسول الله .. عليـه الصلاة والسلام ..

« كما صلى به جبريلُ ..

« فصلّت بصلاتـه . »

تعيين جبريل .. اوقات الصلاة ..

للرسول .. ﷺ ..

عن ابن عباس قـال :

• لما افترضت الصلاة على رسول الله .. ﷺ .. أتاه جبريل عليه السلام ..

• فصلى به الظهر حين مالت الشمس .. ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله .. ثم صلى به المغرب حين غـابت الشمس .. ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق .. ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ..

• ثم جاءه ..

• فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله .

• ثم صلى به العصر حين كان ظلـــه مثليه ..

• ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ..

• ثم صلى به العشاءَ الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ..

« ثم صلى به الصبحَ مُسْفِراً غير مُشرق ..

« ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس . »

اقول ، ها هنا فضيلتان للطاهرة ، عليها السلام ..

الأولى .. أنها اول مَن توضأ على الإطلاق !!

الثانية .. انها اوّل مَن صلى على الاطلاق !!

فهي تسبق جميع الرجال ، وجميع النساء ، في هاتين الفضيلتين ، إلى يوم القيامة !!

فان قيل : مَن اوّلُ مَن توضأ من هذه الامة ؟!

قيل : خديجة .. عليها السلام !!

وإن قيل : مَن اوّلُ مَن صلى في الاسلام ؟!

قيل خديجة .. عليها السلام !!!

اهل البيت الكريم ..

يؤمنون تباعاً ..

بعد خديجة ..

عليها السلام ..؟!

اكرم

الله تعالى ، نبيّه ، ﷺ ، بإيمان زوجه ، خديجة .. عليهما السلام ..

فكانت له نعم الصاحبة ، ونعم المعين ..

وكانت اوّل من توضأ ، وأوّل مَن صلى ، من ورائه ..

ثم تتابع الخير ، في بيت النبوة ، الذي هو بيت خديجة !!

علي .. اوّل مَن آمن ؟!

• ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس ، آمن برسول الله ﷺ ..

• وصلى معه ..

• وصدّق بما جاءه من الله تعالى ..

« عليٌّ بن أبي طالب .. بن عبد المطلب .. بن هاشم .. رضوان الله وسلامه عليه ..

« وهو يومئذٍ ابنُ عشر سنينَ ..

« وكان مما أنعم اللهُ به على عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ ، قبل الاسلام .. »

نشأته في حجر الرسول .. ﷺ ..

وسبب ذلك ؟!

قال ابن إسحاق :

كان من نعمة الله على عليّ بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به من الخَير ، أن قريشاً أصابتهم أزمـــة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير . فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم ، يا عباس ، إن أخاك ابا طالب كثير العيال ، وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا اليـــه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً ، وتاخذ انت رجلاً ،

فنكلهما عنه . فقال العباس : نعم .

فانطلقا حتى أتيا ابا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ؛ فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما .

فأخذ رسول الله ﷺ عليّاً ، فضمه اليه ، واخذ العباس جعفراً فضمه اليه ، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيّاً ، فاتبعه عليّ رضي الله عنه ، وآمن به وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه .

خروج عليّ مع رسول الله ﷺ الى شعاب مكة يصليان ووقوف ابي طالب على امرهما !

قال إبن إسحاق :

وذكر بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ ، كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومنْ جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء

الله ان يمكثـا .

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقـــال لرسول الله ﷺ : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي اراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسله ، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال ﷺ ـ بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وانت اي عم ، أحقُّ مَنْ بذلت له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهُـدى ، وأحقُّ مَنْ اجابني اليه واعانني عليه ، او كما قـال .

فقال أبو طالب : اي ابنَ اخي ، إني لا استطيـع ان افـارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن واللهِ لا يُخلَص اليك بشيء تكرهه ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعليّ : أي بُنيّ ، مـــا هذا الدين الذي انت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنتُ بالله وبرسول الله ، وصدقته بمـا جاء به ، وصلّيت معه لله واتبعته .

فزعموا انه قال له : اما إنه لم يَدْعُـك إلا إلى خير فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة ثانياً

قال ابن إسحاق :

ثم اسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبدالعزى ابن امرىء القيس الكلبي ، مولى رسول الله ﷺ ، وكان أوّل ذكر أسلم ، وصلى بعد عليّ بن أبي طالب .

نسبه وسبب تبني رسول الله ﷺ له

قـال ابن هشام .

زيد بن حارثة بن شراحبيـل بن كعب بن عبد العُزّى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عَبد ودّ بن عَوْف ابن كنانة بن بكر بن عوْف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة ابن ثور بن كلب بن وبرة .

وكان حكيم بن حزام بن خويلد قـــدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ ، فقال لها : اختاري يا عمة اي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك .

فاختارت زيداً فاخذته ، فرآه رسول الله ﷺ عندهـــا ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فاعتقه رسول الله ﷺ وتبنـاه ، وذلك قبل ان يوحى اليه .

ثم قدم أبوه عليه وهو عند رسول الله ﷺ ، فقـــال له رسول الله ﷺ : إن شئت فاقم عندي ، وإن شئت فـانطلق مع أبيك ، فقال : بل اقيم عندك .

فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدّقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما انزل الله عز وجل :

﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ ..

قال : انا زيد بن حارثة .

★

أقول .. افتتحت خديجة .. عليها السلام .. قائمة الايمان برسول لله ﷺ .. في بيتها الشريف .. بيت رسول الله.. ﷺ ..

ثم تتابع أعضاء البيت المبارك .. فآمن عليٌّ ، عليه السلام .. أول صبي يدخل الاسلام ..

ثم آمن زيد .. فكان اول من آمَن ، بعد عليّ .. من أعضاء البيت الشريف ..

إلا أنّ خديجة .. عليها السلام ، قد سبقت الجميع إلى الايمان ..

وذلك فضل الله ، يُؤتيه مَن يشاء !!

أمّ المؤمنين ..

خديجة عليها السلام ..

في قلب الاحداث ؟!

عظمة

خديجة ، عليها السلام .. تتلألأ اكثر فـــاكثر ..

كلمـــا اشتد الأذى ، ونالت قريش من رسول الله .. ﷺ .. ما نالت ..

وَعذَّبت أتباعه ما عَذَّبت ..

وهي ، عليها السلام .. تعيش تلك الأحـداث الجسام ، لحظـة لحظة ، وحـــادثاً حادثاً ، لا تتزحزح ولا تلين ، ولكن تزداد شموخاً وتصلباً في دين الله ..

والجوهر الثمين ، يظهر في الشدائـــد والمحن ..

ومن هنا تتفوق خديجة ، على سائر نساء النـبي ، صلى الله عليه وسلم ..

لأنها كانت معه ، في أشد فترات الدعوة عُنفاً وتعذيبـــاً واضطهاداً ..

جاءه الوحي ، فكانت أوّل من آمن به وصدّقه ..

وبعد ثلاث سنين من الدعوة إلى الله سِرّاً ؛ أمره الله أن يدعو الناس علانية ..

وهنا بدأت المعركة بين الحقّ والباطل ..

وخديجة تشهد هذا كله ، وتقف إلى جوار زوجها العظيم ، في ثبات عظيم ..

كيف كان شعورها حين سمعت قول زوجها العظيم .. صلى الله عليه وسلم :

« يا عمّ .. والله لو وضعوا الشمس في يميني .. والقمرَ في يساري .. على أن اترك هذا الأمر .. حتى يُظهره الله .. او اهلك فيه ما تركتُه . » !!

لقد ازدادت شعوراً ، أن محمداً .. ﷺ .. ذو عزيمة ليس كمثلها عزيمة ..

وأنّ اعظم الشرف لها ، ان تكون زوجة ، لمن ليس كمثله أحد ، كان أو يكون !!

أم كيف كان شعورها ، حين علمت أن قريشاً تذامروا بينهم على مَن في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ .. الذين

أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على مَن فيهم من المسلمين يعذّبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ؟!!

ها هي تشعر بما يحمل زوجها العظيم ، ﷺ .. من آلام ، وهو يرى أصحابه يُعذّبون وهو لا يملك أن يمنعهم !!

لماذا تصنع قريش هذا ، وما هي الجريمة التي ارتكبها هؤلاء ؟!

أم كيف كان شعورها ، حين أغرت قريش ، برسول الله ، ﷺ .. سفهاءها ، فكذّبوه ، وآذَوْه ، ورموه بالشّعر والسّحر والكهانة ، والجنون .. ورسول الله ، ﷺ ، مُظهرٌ لأمر الله لا يستخفي به ، مبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم ؟!

وفكرت خديجة : أيمكن أن يتحمل أحدٌ كلّ هذا ولا يلين ؟!

ولكنّ محمداً ، العظيم ، لا يزداد إلا ثباتاً ، وإلا تبليغاً !!

فتزداد خديجة عزيمة من عزمه ، ﷺ ، ونوراً من نوره ، ﷺ ..

وما ظنك بامرأة تتشرف بمعاشرة رسول الله .. ﷺ ، ليلاً ونهاراً ، كيف يكون نورها ، وهُداها ؟!

أم كيف كان شعورها ، عليها السلام ، حين سمعت أن أشراف

قريش ، وثبوا إلى رسول الله.. ﷺ .. وثبة رجـــل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟! ـ لِما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم ـ فيقـول رسول الله ، ﷺ : نعم .. أنا الذي اقول ذلك ..

فقام رجل منهم فاخذ بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر ، رضي الله عنه ، دونه ، وهو يبكي ويقول : اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟! ثم انصرفوا عنه ؟!

إنها تعيش الأحداث لحظة لحظة ، وتنفعل بها لحظة بلحظة ..

لأنّ قطب الأحداث ، الذي عليه تدور ، هو زوجها ، ﷺ ، الذي تحبه اكثر من نفسها وولدها والنـــاس اجمعين !!

ام كيف كان شعورها ، عليها السلام .. حين علمت باشد ما لقي رسول الله ﷺ ، من قريش ، أنه خرج يوماً فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حرّ ولا عَبْـد ، فرجع رسول الله ، ﷺ ، إلى منزله ، فتدثر من شدّة مـــا أصابه .. فانزل الله تعالى عليه :

﴿ يا ايُّها الْمدّثّرْ . قُمْ فانذِرْ ﴾ ؟!

كانت هي .. عليها السلام ، التي تُدَثّره ، وتهوّن عليـه !!

كم تساوي هـذه اللحظة ، وهي معه ، ﷺ تشعر بشعوره ؟!

إنها عاشت معه ، وذاقت اشعاعـــات النبوة ، أعلى نبوة ، تتشعشع من فؤاده ، أعلى فؤاد !!

ماذا اريد ان اقول ؟!!

أريد أن أقول قولاً عظيماً ..

انّ النبوة أعلى .. واكمل .. وأشرف .. مستوى .. يحمله بشر على الاطلاق !!

وهي لذلك اثقل حملاً من الجبال ..

يحملها صلوات الله وسلامه عليهم ، باذن الله ، وعونه ..

ولولا ذلك ما أطاقوا حملهـا ..

فكيف باعظم الرسل ، وخاتم النبيين ؟!

إنّ ما يحمل من اعباء النبوة ، شيء لا تدركه العقول !!

فكيف بزوجه التي تقف إلى جواره ، ليلاً ونهــاراً ، في تلـك اللحظات الشاقة من مطلع النبوة ؟!

كيف كان تركيبها الإيماني ، ام كيف كان مستوى النور الذي يسري في فؤادها ؟!

من الحتم ان **يكن** على أعلى مستوى .. من السمو .. والحكمة .. والصبر .. والحنـان ..

تجد الاشارة إلى ذلك مكنونة في قوله تعـــالى :

﴿ يا نِسَاء النَّبيِّ ..

﴿ لَسْتُنَّ ..

﴿ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ .. ﴾ !!

فكيف كانت .. عليهـا السلام .. وهي افضل نسائه .. عليـه السلام ؟!!

خديجة عليها السلام ..

نشهد هجرة رُقَية ..

مع زوجها عثمان ..

الى الحبشة ؟!

قال ابن هشام :

« فلما رأى رسول الله .. ﷺ .. ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ..

« وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ..

« قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد .. وهي أرض صدْق .. حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ..

« فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. إلى أرض الحبشة .. مخافة الفتنة .. وفراراً إلى الله بدينهم ..

« فكانت اول هجرة كانت في الاسلام ..»

هجرة عثمان بن عفّان .. ومعه امرأته رُقية ..

بنت رسول الله !

« وكان أوّل من خرج من المسلمين .. من بني أمية .. عثمان ابن عفّان ..

« معه امرأته .. رُقَيّة .. بنت رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« فكان جميع من لحق بأرض الحبشة .. وهاجر اليها من المسلمين ، سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها .. ثلاثة وثمانين رجلاً .. »

كيف تزوج عثمان .. رُقية ؟!

تقدّم عبد العُزّى (أبو لهب) يخطب رُقيّة .. وأم كلثوم ..

ابنتي رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. لولديه عُتبة وعتيبة ..

وانتقلت رقية .. وأم كلثوم .. إلى بيت الزوجية ..

وما كاد رسولُ الله.. صلى الله عليه وسلم .. يتلقى رسالة ربه ، ويدعو إلى الدين الجديد ..

حتى أخرجت .. رقية وأم كلثوم .. من بيت أبي لهب .. ورُدتا إلى بيت أبيهما .. طالقين ..

تقـــدم عثمان إلى رسول الله ﷺ .. يسأله شرف المصاهرة ، فزوجه ﷺ .. ابنته رقية ..

وكان عثمان بن عفّان .. اول من هـــاجر إلى الحبشة .. وهاجرت معه زوجته (رُقية) .. على قرب عهدهما بالزواج ..

عودة رُقية .. مع العائدين ؟!

شاع عند المهاجرين إلى الحبشة .. أن قريشا كفّت عن إيذاء المسلمين ..

فسار نفر منهم وقد بلغ عددهم ثلاثة وثلاثين رجلا ، يتقدمهم

(عثمان بن عفان) .. وزوجه السيدة رقية ..

حتى إذا عبروا البحر ، ساعين إلى مكة فوجئوا أنّ ما سمعوه كان خيالاً .. وأن التعذيب على أشده .. فـدخـلوا في جوار مَن اجـارهم ..

وآبت رقية إلى بيت أبيها .. ﷺ ..

هجرة رُقية الى المدينة ؟!

ثم كانت الهجرة إلى المدينة ..

وهاجرت رقية في صحبة زوجها .. عثمان بن عفان ..

ثم كانت غزوة بدر .. وأقام عثمان إلى جانبها يمرضها .. رغم حرصه على شهود المعركة ..

وماتت رقية ..

وشيعت (يثرب) بنت الرسول .. ذات الهجرتين ..

★

اقول .. هكذا شهدت خديجة .. عليها السلام .. هجرة ابنتها رقيّة .. مع زوجها عثمان .. إلى الحبشة ..

إلا أنها لم تشهد هجرتها الثانية إلى المدينة ..

حيث كانت خديجة .. عليها السلام .. قد ماتت قبـل الهجرة بثلاث سنين !!

خديجة .. عليها السلام ..

صامدة في المقاطعة والحصار ..

بجوار زوجها العظيم ﷺ ؟!

المجرمون

فيهم عباقرة ..

والمؤمنون فيهم عباقرة ..

وفرق ما بين عبقرية المجرمين ، وعبقرية المؤمنين ..

أنّ المجرم العبقريّ .. إذا فكر في فكرة جهنمية .. اندفع إلى تنفيذها .. لأنه لا يخاف حساباً ولا يؤمن بهذه الخرافات (كما يعتقد) التي تقيد المؤمنين !!

لكنّ المؤمن العبقريّ .. إذا اهتدى إلى فكرة فيها إيقاع أو إيذاء للغير .. تراجع لأنه يخاف الله !!

ولقد كان زبانية قريش أئمة في الإجرام .. وعباقرة في الصدّ عن دين الله .. وإيذاء المؤمنين ..

وانتهت بهم عبقريتهم .. عبقرية الإجرام .. إلى فكرة جهنمية .. أن يقاطعوا بني هاشم مقاطعة تامة .. فلا يكلموهم ..

ولا يبيعوهم ولا يشترون منهم .. ولا يُزوّجوهم ولا يتزوجون منهم !!

وتعاهد العباقرة .. عباقرة الإجرام على ذلك ..

فكيف كانت القصة ؟!

وكيف كانت خديجة .. عليها السلام .. اثناء مدة المقاطعة والحصار ؟!

وما هي مدة هذا الحصار .. وكيف تمْ رفعه ؟!

اعجبني في تصوير هذا المشهد الخالد .. مـــا جاء في كتاب « خديجة أم المؤمنين » ..

وانقل اليك بعضاً منه ..

المقاطعة والحصار !

« طالما دبر شياطين قريش ، وطالمـــا مكر زعماؤها للقضاء على « محمد » ، وكانوا يبوءون بالفشل في إثر الفشل ، ولكنهم لم ييـأسوا وظلوا يحيكون مكرهم آملـين ان يضعوا حداً لانتشار هـذا الدين الجديد ، وان يمنعوا إقبال الناس على الدخول فيه ، حتى أصبح التفكير

في ذلك شغلهم الشاغل .

وطال بينهم الجدل والأخذ والرد حتى كان آخر العام السادس لنزول الوحي ، وهو آخر العام الثالث للجهر بالدعوة ، فقـــادهم شيطـــان تفكيرهم إلى أمر لم يعهده العرب من قبل ، واتفقوا على مؤامرة لا ترعى حرمة الجوار ، ولا حق ذوي القربى ، ولا مـــا تعوده العرب جميعاً من الإبقاء على صلة الرحم والعصبية للأهـــل والأقارب ، واحترام حرمة النسب والمصاهرة .

فقد قرر أساطين الارستقراطية القرشية في مستهل السنة السابعة من مبعث رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. وهم رؤساء وقادة الأغلبية الساحقة من بطون قريش ، قرروا مقاطعة الأقلية الضئيلة ممثلة في بني هاشم وبني المطلب مقاطعة اجتماعيـة واقتصادية كاملة لا هوادة فيها ، وإجبار كل من في مكة ممن يهابون قريشاً ويخشون بأسها على المشاركة في هذه المقاطعة ، ولذلك اتفقوا وتعاهدوا فيما بينهم على أن لا يكلموهم ، ولا يتعـــاملوا معهم في بيع أو شراء ، ولا يخالطوهم ، ولا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم .

وكان مشركو قريش وزعماؤها يطمعون في ان تخيف هـــذه المقاطعة الصارمة بني هاشم وبني المطلب ، فيسلموا اليهم « محمداً » ليقتلوه ويتخلصوا منه ومن دعوته ، فإن لم يصلوا إلى هذه النتيجة التي كانوا يطمعون في الوصول اليها ، فإنهم كانوا يأملون ان يفرقوا

بين بني هاشم وبني المطلب ، فينحاز بنو المطلب إلى بطون قريش الأخرى ، ويتركوا بني هاشم وحـدهم .

وكانوا يطمعون ، اكثر من ذلك ، في أن تؤدي قسوة المقاطعة إلى ان ينفض عن « محمـد » بعض افراد بني هـاشم الذين لم يكونوا قد دخلوا بعد في دينه ، فيصبح القضاء عليه وعلى من بقي معه امراً ميسوراً .

واراد زعماء الوثنية القرشية ان يدعموا هذا الاتفاق ، وان يجعلوا له حرمة وقداسة بحيث لا تجرؤ بطن من بطون قريش على نقضه ، فقرروا ان يثبتوا هذا التآمر ويدونوه في صحيفة ، ثم علقوا هذه الصحيفة في جوف الكعبة توكيـداً على انفسهم ، وبذلك اصبح لهـا مهابتها واحترامها بين جميع المشركين من بطون قريش ، ومن القبائل العربيـة المشركة الأخرى .

وظل النبي .. ﷺ .. رابط الجاش ، ثابت العقيـدة ، مسلمـاً أمره إلى الله ، راضياً بقضائه وقدره ، لا يخشى تهديدهم ووعيدهم ، مؤمناً بقوله سبحانه :

﴿ واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الامور ﴾ ..

وكان يؤمن ان الله الذي ارسله بالحق لن يخلف وعده وسوف ينصر عباده وأنّ :

﴿ لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ..

وظلت «ام المومنين خديجة» صامدة بجوار رسول الله .. ﷺ .. وتشد من ازره، وتهون عليه كل ما يدبره له قادة الأرستقراطية القرشية من عبدة الأوثان، وتخفف عنه، مـــا استطاعت، وقع هذه المحنة المفاجئة، واضعة نصب عينيها، قوله تعالى مخاطبـــاً نبيه ﷺ :

﴿ واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين . ﴾

وفوجىء جميع مشركي قريش في بـداية هذه المقـاطعة الظالمـة بانهيار املهم في الافساد بين بني هاشم وبني المطلب، فقـد وقف هؤلاء وقفة رجل واحد وازداد تعـــاونهم في الذود عن «محمد»، وقرروا ان يضحوا في سبيل ذلك بكل مرتخص وغال، واستهانوا براحتهم، وعرضوا أنفسهم لقسوة الحيـــاة في سبيل هذا الغرض السامي، لا فرق في ذلك بين من آمن منهم بالله واليوم الآخر ومن لم يكن قد آمن بعد.

أما المؤمنون منهم فقد كانوا يرون في ذلك دفاعـاً عن دينهم، وعن حريتهم في اختيار العقيدة التي يرتضونها، وذوداً عن المبادىء الإنسانية السامية التي تدعو اليها هذه العقيدة.

وأما الذين كانوا ما يزالون على جـــاهليتهم ولم يؤمنوا بعد بالوحدانية ، فقد رأوا في المحافظة على « محمد » ومناصرته ، محافظة على شرف عشيرتهم وكرامتها ، ونجدة لذوي قرابتهم ورحمهم ، وقضاء على كبرياء وطغيان العشائر القرشية الأخرى ، وعلى ما كانت تقترفه من ظلم ، وعلى ما استباحته من حرمات .

ولم يشذ عن هولاء أحد إلا « أبو لهب » ، فإنه جبن عن مناصرة أهله وعشيرته ، وقاده كرهه « لمحمد » ورسالته إلى الانحيـــاز إلى البطون القرشيـة الأخرى ، وإلى ان يعينهم على ظلم أهله وذوي قرابتـه .

وفي سبيل هذه المبادىء السامية ، ترك بنو هاشم وبنو المطلب بيوتهم وما فيها من الأثاث ووسائل الترف الأخرى التي كانت متاحة لهم في تلك الحقبة من الزمان ، وخرجوا ، في مطلع المحرم من العام السابع لنزول الوحي ، وهو أول العــــام الرابع للجهر بالدعوة الاسلامية ، إلى شعب أبي طالب شرقي مكة ، ليعيشوا بـين شعاب الجبال ورمال الصحراء ، حيث لا زرع ولا ماء ، وحيث يقاسون من قسوة الطبيعة وطقسها المتغير في تلك البيئة الجبلية الصحراوية ، ذات الحر اللافح في الصيف ، والبرد القارس في الشتاء .

ولم يتخلف عن الخروج لحماية محمد أغنياء بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا يتمتعون بالثراء ، وما كان يجلبه لهم من الرفاهية ، وبالجاه

الذي توارثوه عن آبائهم مثل « العباس بن عبد المطلب » الذي كان يملك الأموال الطائلة ، ويتجر في العطور التي كان يجلبها من اليمن ومن الشام ، فإنه لم يتقاعس عن أداء هذا الواجب على الرغم من أنه لم يكن قد دخل في الاسلام حتى ذلك الحين ؛ ولكنه هرع مع قومه إلى الشعب ليحيط ابن أخيه « محمداً » برعايته وحمايته ، ويكون مع أخيه الأكبر « أبي طالب » ومع عشيرته الأقربين يداً واحدة على من ظلمهم .

فقد كان « أبو طالب » وهو سيد قريش وزعيم بني هاشم وبني المطلب ، على رأس الداخلين إلى الشعب برغم شيخوخته التي كانت قد جاوزت الثمانين من عمره ، وبرغم ضعف جسمه وحاجته إلى الراحة والعيشة المسترخية الهادئة بعيداً عن كل مشقة ، وعن قسوة العيش في تلك البيئة .

ولكن الشيخ استجمع كل شجاعته ، وجمع حوله رجال بني هاشم وبني المطلب وفتيانهم ، وحمل معهم نساءهم وأطفالهم ودخل بهم إلى الشعب بين الجبال الوعرة والصحراء المقفرة ، حتى يستطيعوا أن يحموا « محمداً » ويذودوا عن شرف عشيرتهم ، ومحافظة على المكانة السامية والاحترام الذي كانوا يتمتعون به بين العرب كافة .

وكم كان وفاء جميلاً ان تخرج معهم السيدة خديجة ، وتترك بيتها حيث عاشت طوال حياتها عيشة رغدة بفضل ثروتها الطائلة

التي وفرت لها كل وسائل الترف ومكنتها من الاستمتاع بكل ما كان يمكن للمال ان يحصل عليه من الطيبات التي كانت تجلبها تجارتها الواسعة من إنتاج العراق وفارس والهند عن طريق رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام .

خرجت معهم في بداية شيخوختها بعد أن أشرفت على الحادية والستين من عمرها لتعيش بعيدة عن كل وسائل الراحة التي كانت تتمتع بها في بيتها ، وقد استعذبت ذلك دفاعاً عن دينها ، وحتى لا تتخلى عن زوجها وحبيبها الذي نعمت بجواره أسعد ايام حياتها ، ولم تعبأ بما قد تتعرض له من مشقة ، وما قد يجهد جسمها الضعيف من المتاعب ، وما يقابلها من مرارة الحرمان وقسوة الطبيعة ، حباً في الاسهام في نشر دين الوحدانية ، ورغبة سنها في الوقوف بجوار نبيها وزوجها تحيطه بعطفها ، وتظله بحبها وحنانها ، وتقاسمه الضراء كما قاسمته من قبل سعادة العيش .

وخرجت مع « خديجة » إلى الشعب ابنتها « أم كلثوم » ، وكانت ما تزال في مطلع شبابها زهرة يانعة أوشكت على الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت معها أختها « فاطمة الزهراء » التي ما تزال تسبح في سعادة الطفولة البريئة التي تؤهلها لها سنها التي لم تجاوز الحادية عشرة ، وكانتا تعيشان من قبل في بحبوحة من العيش المترف ، حيث كانتا تنعمان بحياة سعيدة مستقرة ، وجدتا فيها كل ما كانت تتيحه لها في ذلك العصر ثروة والديها ، ولكن شاء القدر أن تنتقلا فجأة

إلى حياة خشنة لا راحة فيها وسط الجبال والوديان وبين رمـــال الصحراء القاحلة[1] .

وشعر اساطين الأرستقراطية المشركة بالنصر لأول مرة منذ بدأ الصراع بينهم وبين رسول الله .. ﷺ .. بعد الجهر بالدعوة ، فقد عمتهم السعادة التي لم يذوقوا لهـــا طعماً طوال السنوات الثلاث الماضية ، وأصبحوا عندما خلت مكة من بني هاشم وبني المطلب يشعرون بأنهم لم يتخلصوا من « محمد » وحـده ، ولكنهم انتصروا على هذين الرهطين اللذين كانا يتنـــافسان مع باقي عشائر قريش ، وكانا يتغلبان عليهم بكرمهم ووداعتهم وحسن اخلاقهم مما حبب فيهم العرب قاطبة .

وظنوا ، وبعض الظن إثم ، أن هذين الرهطين لن يلبثا طويلاً حتى يذعنا ويستسلما صاغرين اليهم يفعلون بهما و « بمحمد » مـــا يشاءون فيتخلصون منه ، ويئدون دعوته ويقتلونها قتلاً لا قيامة لها بعده وهي في العام الرابع من الجهر بالدعوة .

وبدأت المعيشة في الشعب وسط الجبال تحت قبة السماء بعيدة

(١) كانت زينب في كنف زوجها أبي العاص بن الربيع الذى كان يحبها ويحميها ، وكانت رقية لا تزال مع زوجها عثمان بن عفان في هجرتها بالحبشة .

عن البيوت التي بناها وعاش فيها آباؤهم من قبـل .

وكان أبو طـــالب يخشى أن تتسلل في الليل شياطين قريش لاغتيال ابن أخيه ، فقرر اتخاذ الحيطة ، وتشديد الحراسة عليه طوال الليل ، وكان طوال مدة إقامتهم في الشعب

« يأمر رسول الله .. ﷺ فيأتي فراشه كل ليلة ، حتى يراه من أراد به شراً او غائلة ، فاذا نام الناس امر احد بنيه او إخوته او بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله .. ﷺ .. وامر رسول الله ان يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها » .

واستمرت المعيشة في الشعب أكثر مما كان يتوقع لها الهـاشميون والمطلبيون ، ونفد ما كانوا قد حملوه معهم من زاد ، ولما أرادوا أن يعوضوا مـــا فقدوه بشراء غيره ، وجدوا أن أسواق مكة كانت مغلقة أمـــامهم ، وأن أحداً من تجارها كان لا يجرؤ ان يبيعهم شيئاً .

ولما حانت إحدى المواسم التي كانت تعج بهـــا مكة ، خرجوا ليشتروا من القوافل الوافـدة إلى البيت الحرام من أرجـاء الجزيرة العربية ..

ولكن شياطين مشركي قريش كانوا أسبق منهم إلى شراء كل ما كانت تحمله معها تلك القوافل من طعام أو إدام ، وإلى التنبيه

على رجال القوافل بعدم التعامل مع المحاصرين بيعاً أو شراء ، وبذلك قطعوا عنهم الأسواق ، ولم يستطيعوا أن يشتروا مـــا يقوتون به أنفسهم وعيالهم .

وكان « أبو لهب » من أنشط الداعين إلى مقاطعتهم ، فقد كان يقصد الوافدين على مكة من القبائل العربية ، ويغريهم بالوعود البراقة والربح الوفير حيناً ، أو يخوفهم بالوعيـد حيناً آخر ، وكان يضمن لهم أن لا تبور تجارتهم ، ويعدهم أن يشتري منهم كل ما يتبقى عندهم من متاع او بضاعة باوفر الأثمان .

وهكذا شح الزاد في الشعب ، وجاع الأطفـــال ، وكان أهلهم يطبخون لهم أوراق الشجر ، وبعض النبـــاتات البرية التي تنبت في الصحراء ، أو على سفوح الجبال ، وكانوا ياكلونها كارهين لأنهم لا يجدون غيرها ليقتاتوا به .

ومر عام طويل على هذا الحصار ، وساءت حال بني هاشم وبني عبد المطلب ، وسعد بذلك شياطين قريش وسفهـاؤهم ، وظنوا أن كبرياء المحاصرين سوف تنهار عن قريب ، وأنهم ولا شك سوف يذعنون ويسلمون اليهم « محمداً » يفعلون به مـا يرون .

ولكن نفراً من حكماء قريش ، وذوي المروءة والمكانة فيها ساءهم كل ذلك ، وأشفقوا أن تهلك أطفال المحـــاصرين جوعاً ، وأن يذل بطنان من أعز بطون قريش ظلماً ، فراحوا يرسلون لهم الطعام سراً ،

فثارت ثائرة سفهاء قريش ، وأحكموا الحصار وبثوا العيون والأرصاد حوله .

وتاكد لهم أن « هشام بن عمرو العـامري » يصل من في الشعب فيرسل لهم الطعام بين الحين والحين .

و « عمرو » هذا هو أخو « نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه » ، وكان من ذوي الفضل والمروءة ، محباً للهاشميين ، وواصلاً لهم .

وتربص شياطين قريش ، فعثروا على جمال ثلاثة أرسلها « عمرو » إلى الشعب في جنح الليل محملة بالطعام ، فلما أصبح الصباح ذهبوا اليه ولاموه على ذلك ، فوعدهم أن يوقف إرسال معونته إلى الشعب .

ولكنه سرعان ما ندم على هذا الوعد ، وعز عليه أن لا يصل أهله إبان محنتهم ، وان يتركهم يتضورون جوعاً ، فارسل إلى الشعب جملين آخرين يحملان الزاد .

وقامت قيامة سفهاء قريش ، واشتد غضبهم ، وراحوا يؤنبونـه لخروجه على إجماعهم ، وأغلظوا له في القول ، ثم هددوه بالقتل إن هو عاد إلى مثل ذلك .

وكان « أبو سفيان بن حرب » ، زعيم بني أمية وسيدهـــا ، حاضراً ، فاستفزه تانيبهم « لهشام العامري » ، وأغضبه تهديدهم له ، وغلبت عليه شهامته ، فوجه اليهم أشد الملامة ، وقـال إن « هشام » لم

يرتكب إثماً ، وإنما دفعته الشهامة والمروءة إلى أن يصل أهله ، وأن يعين ذوي قرابته عند الشدة ، وكان الأجدر بقريش أن تفعل مثل ما فعل .

وذعر سفهاء قريش لمناصرة « أبي سفيان » لأحد الخارجين عما جاء في صحيفة المقاطعة ؛ ولكنهم خشوا أن يجادلوه ، فقد يدفعه ذلك إلى الانضمام هو وقومه إلى « هشام » وأمثاله ممن يعينون المحاصرين ، فكظموا غيظهم ولم يجرؤ أحدهم على مخاصمة « أبي سفيان » .

وداوم « هشام » العامري على كرمه ومروءته ، فكان يقود الناقة بنفسه في جوف الليل البهيم محملة بالطعام ويأتي بها إلى مدخل من مداخل الشعب ، ثم يوجهها ناحية المحاصرين ، ويضربها على جنبيها فتسرع داخلة إلى الشعب ، حيث يتلقفها المحاصرون .

ومر عام آخر طويل على هذا الحصار الذي لم تسمع العرب بمثله من قبل ، وكان الطعام الذي يصلهم خفية مما يرسله ذوو المروءة والفضل لا يكفي لسد حاجة المحاصرين ، وهزل الكبار والصغار ؛ ولكنهم جميعاً صبروا صبر الكرام على شدة البلاء ، وهول جوع الأطفال الذين طالما باتوا طوال ليلهم يبكون ويتألمون وهم يتضورون جوعاً ، بكاء كان يسمع من خارج الشعب .

وكان أهل بيت النبي جميعاً يتحملون مرارة الجوع وآلامه ، كما كان يتحملها أهلهم المحاصرين .

ولكن « خديجة » لم تقف مكتوفة اليدين أمام هذه النكبة المفاجئة بل كانت تبذل كل ما تستطيع من جهد ومال لتنقذهم من الهلاك ، فكانت ترسل إلى اهلها يشترون لها الطعام ويرسلونه سراً إلى الشعب ، وكان اهلها وعشيرتها نبلاء واوفياء لها ، فلطالما كانت قبل هذه المحنة كريمة معهم ، تصلهم ببرها ، وتمد كل محتاج منهم بمعونتها ، فبادلوها عند شدتها وفاء بوفاء ، وحباً بحب ، ولا يعلم إلا الله وحده كم أنفقت من مالها في سبيل تزويد المحاصرين بكل ما استطاعت ان تجلبه لهم ، فكانت لهم نعمة وعوناً قيضها الله سبحانه لإغـاثتهم .

وكان ابن أخيها « حكيم بن حزام بن خويلد » يقود بنفسه الجمال محملة بالطعام إلى الشعب .

ولقيه ذات مرة « ابو جهل » ومعه غلام يحمل قمحاً لعمتـــه خديجة بنت خُويلد ، فامسك بتلابيبه ، واقسم ان لا يبرح مكانه حتى يفضحه في مكة ..

فقد كان في نظره يرتكب جريمة شنعاء ، هي الخروج على مـــا تعاقدت عليه قريش ، وعلى ما كتبوه في الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة .

وجاء « ابو البختري بن هاشم بن أسد » فنهر « ابا جهل » وقال له : طعام كان لعمته عنده بعثت اليه فيه ، أفتمنعه ان يأتيها بطعامها ؟ خل عن الرجـل .

وأبى « ابو جهل » ، فتماسك الرجلان بالأيدي ، وتعاركا عراكاً طويلاً ، فضرب أبو البختري ابا جهل على رأسه فشجه ، ثم القاه على الارض وجعل يركله بقدميه ..

ولكنهما شعرا ان « حمزة بن عبد المطلب » جاء ووقف بالقرب منهما يرى ويسمع عراكهما .

وكانت قريش تكره ان تصل اخبار مثل هذا العراك والشجار إلى رسول الله .. ﷺ .. واصحابه ، فيشمتوا فيهم ، ولذلك كفوا عن هـذا الصراع ، ودخل القمح إلى الشعب .

وسارت الأيام بطيئة ثقيلة ، ومرت الليالي على المحاصرين طويلة ومضنية ، حتى اوشك العام الثالث على الحصار ان ينتهي ، وكان كل ما يصل اليهم من الطعام خفية لا يغني ولا يسمن من جوع ، حتى هزل الصغار ، وضعف الكبار .

ولكنهم كانوا كراماً على أنفسهم ، محافظين على عزتهم ، يفضلون هذا الموت البطيء على أن يهنوا أو يذلوا أمام جبابرة قومهم .

وأسرف سفهاء قريش في بغيهم ، واستمروا في طغيانهم ، وبذلوا الجهود في محاولة إحكام الحصار على الشعب ، وكانت محنة أشفق منها كرام قريش وعقلاؤها .

فقد أدركوا أن عناد هؤلاء السفهاء وطغيانهم سوف يؤدي إلى

حرب تجويع بطيء حتى الموت لفريق من أكرم قريش حسباً ، وأعزهم نسباً ، وأحسنهم خلقاً ، وان فناء هذا الفريق سوف يكون على مدى الدهر عاراً وسبة في تاريخ قريش .

أدرك ذلك فريق من كرام قريش ، وخظر على بال كل واحد منهم ذلك إذا خلا إلى نفسه ، فجعل يلومها ويأسف على ما حل بالمحاصرين .

وكان أسبق من حملتهم المروءة على هذا التفكير المتزن « هشام بن عمرو العامري » ، وكان كما رأينا يضل المحاصرين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وقد دفعته شجاعته ومروءته إلى أن يسعى حتى جمع حوله أربعة آخرين اختارهم من ذوي العقل والمكانة بين عشائر قريش ؛ وممن تربطهم بالمحاصرين صلة القرابة والرحم ، فتشاوروا واتفقوا فيما بينهم على أن يمزقوا الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة .

ومن الخير أن نذكر ، بشيء من التفصيل ، بعض ما ورد الينا من خبر هذا السعي النبيل مما كان أحد الأسباب التي أدت إلى فض الحصار :

بدأ « هشام العامري » بالذهاب إلى « زهير بن أبي أمية المخزومي »، وهو ابن « عاتكة » عمة رسول الله .. ﷺ .. وأخذ يعيّره لأنه أسلم أخواله « لأبي جهل » وعصبته وتركهم يتضورون جوعاً ، بينما هو يستمتع بأطيب الطعام ، ويلبس احسن الثياب .

وعيره كذلك أنه خضع في ذلك « لأبي جهل » واطاع أمره ، وان « أبا جهل » ، لم يكن ليرضى لأخواله مثل هذا المصير لو أنه دعي إلى مثـل ذلك .

ويجدر بنا أن نثبت بعض هذا الحوار كما ورد الينا ..

قال هشام : يا زهير أقد رضيت ان تا كل الطعام ، وتلبس الثياب ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ولا يبتاع منهم ؟. أما إني احلف لو كانوا اخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك اليه ما أجابك اليه ابداً .

قال زهير : ويحك يا هشام ! فماذا اصنع ؟ إنمـا أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها .

هشام : قد وجدت رجلاً .

زهير : فمن هو ؟

هشام : أنا .

زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فذهب هشام إلى « المطعم بن عدي بن عبد مناف » فقـــال له : يا مطعم أقد رضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! اما والله لئن مكنتموهم من هـذه لتجدنهم

اليها منكم سراعاً !

قال المطعم : فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد .

هشام : قد وجدت ثانياً .

المطعم : من هو ؟

هشام : أنا .

المطعم : ابغنا ثالثاً .

هشام : قد فعلت .

المطعم : من هو ؟

هشام : زهير بن ابي امية .

المطعم : ابغنا رابعاً .

فذهب هشام إلى البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال المطعم ابن عدي .

فقال البختري : وهل من احد يعين على هذا ؟

قال هشام : نعم .. زهير بن ابي امية ، والمطعم بن عدي ، وانا معك .

فقال المطعم : ابغنا خامساً .

وذهب هشام إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن اسد ، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم .

فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني اليه من احد ؟

فقال : نعم .

ثم سمى له القوم .

اتفق الخمسة على ان يتقابلوا في مكان باعلى مكة يقال له خطم الحجون ، وهناك اجمعوا امرهم ، وتعاقدوا على القيام في امر الصحيفة حتى ينقضوها ، وان يبدأ زهير الكلام ، ويندس الآخرون وسط زعماء قريش في نواديهم المنتشرة حول الكعبة ، ثم يؤيدوه من مختلف النواحي .

وكان النبيّ .. صلى الله عليه وسلم . طوال هذه السنوات الثلاث المضنية ، راضياً بقضاء الله وقدره ، صابراً على هذه المحنة القاسية ، يجوع كما يجوع اهله واقرباؤه ، ويقتات مثلهم على اوراق الشجر وجذور النباتات البرية ، لا يخشى إلا الله ، ولا يخاف إلا من غضبه ، دائباً على دعوة قومه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزئهم به ..

وكان الوحي متتابعاً في نزوله بالآيات الكريمة التي تذكر

أوامر الله ونواهيه ، ووعده ووعيده ، وتحض على مكارم الأخلاق .

وكما كان – ﷺ – دائم التضرع إلى الله سبحانه أن يجعل للمحاصرين مما هم فيه مخرجاً ، وأن يهبهم بعد العسر يسراً .

واستجاب الله سبحانه لدعائه ، فأطلعه أنه سلط حشرة الأرضة على الصحيفة الظالمة ، فلحست كل ما كان مكتوباً فيها من جور وظلم ، ولم يبق عليها إلا ما كان مكتوباً في صدرها وهو :

« باسمك اللهم » ..

وبادر النبي – ﷺ – فذكر ذلك لعمه « أبي طالب » ، فدهش وقال أحق ما تخبرني يا ابن أخي ؟

قال : نعم والله ..

فجمع « أبو طالب » على الفور إخوته وذكر لهم ذلك .

فقالوا له : ما ظنك به ؟

فقال : والله ما كذبني قط ..

قالوا : فما ترى ؟

قال : أرى أن تلبسوا أحسن ما تجدون من الثياب ، ثم تخرجون

إلى قريش ، فنذكر ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر .

وخرج « ابو طالب » وإخوته إلى المسجد الحرام وقـــد استولى عليهم الخوف ، وجلسوا تحت الحجر الأسود ، وكان لا يجلس تحته إلا زعماء قريش واهل الرأي والمكانة فيهـا .

ودهش كل من كان في مجالس قريش ونواديها ، وظن اكثرهم ان الجوع ومتاعب العيش داخل الشعب قد أنهكتهم ، وقضت على كبريائهم ، واعتقدوا أنهم سوف يعلنون استسلامهم ، وأنهم سوف يسلمون لقريش « محمداً » دون قيد أو شرط ، فعمهم البشر .

وتكلم أبو طالب فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرهـا لكم ، فائتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم ، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ..

وإنما قال لهم « أبو طـالب » ذلك خشية ان ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بهـا .

فلما أتوا بها ووضعوها بينهم قالوا لأبي طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما اخذتم علينا وعلى انفسكم .

فقال ابو طالب : إنما اتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ، إن ابن اخي اخبرني ، ولم يكذبني ، أن هذه الصحيفة التي بين ايديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تدع فيها إسماً هو لله إلا أثبتته فيهـا ، ونفت منـه

الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنـا اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم .

وبدا الارتياح والرضا على وجوه المشركين ، وظنوا ان « ابا طالب » إنما يعرض عليهم ذلك ليجد وسيلة يحفظ بها على بني هاشم وبني المطلب ماء وجوههم ..

فالوثيقة التي بين أيديهم كانت سليمة ومطوية ، ومختوماً عليهـا بالخواتيم الثلاثة التي ختمت بها عند تعليقها في جوف الكعبة ، ولذلك رأوا ان يجاملوه حتى يتم لهم النصر ويسلم لهم « محمداً » .

فاظهروا الرضا قائلين : لقد انصفتنا ورضينا بما تقول .

وتعاقدوا معه على ذلك وهم جلوس تحت الحجر الأسود .

وفضوا الأختام ، وفتحوا الصحيفة ثم نظروا فيها ، فإذا هي كما ذكر النبيّ الصادق الأمين خالية من كل ما سطر فيها من بغي ومقاطعة وقطيعة رحم ، وليس فيها إلا : باسمك اللهم .

فبهتوا جميعاً ووقفوا حيارى ، لا يدرون ما يصنعون ، ونكسوا على رؤوسهم .

ولكن سرعان ما عادت شياطينهم إلى إظهار السخط والندم على تعاقدهم معه ، وعادوا بقيـــادة « ابي جهل » إلى غطرستهم وبغيهم

وقالوا : هذا سحر ابن اخيك !

فقال أبو طالب : علام نحبس ونحصر وقد بان الأمر ؟

ثم دخل هو وأصحابه بين استار الكعبة وقال بصوته الجهوري : اللهم انصرنا ممن ظلمنا ، وقطع ارحامنا ، واستحل ما يحرم عليه منا .

ثم انصرفوا عائدين إلى الشعب .

واستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء شيخ بني هاشم .

إذ رأى الخمسة الذين تعاهدوا على نقض الصحيفة ، غدر سفهاء قريش لعهدهم ، ونكثهم لتعاقدهم مع « أبي طالب » .

فوقف « زهير بن أمية » تحت الحجر الأسود وقال : يا اهل مكة ، انأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى ، لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

وثار ابو جهل وانتفض قائلاً : كذبت والله لا تشق .

وتصدى له « زمعة بن الأسود » ، وكان في ناحية أخرى من المسجد ، فصاح في « أبي جهل » قائلاً : انت والله اكذب ، مارضينا كتابتها حيث كتبت .

وصاح البختري ، وكان في ناحية ثانية من المسجد ، وقال باعلى

صوته : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرّ به .

وتقدم المطعم بن عدي من الناحية الثالثة من المسجد ، وصاح في أبي جهل ، وقال مخاطباً زملاءه : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها .

وهب هشام بن عمرو واقفاً وصاح غاضباً وهو يخاطب زملاءه بقوله : صدقتم وكذب من قال غير ذلك ، والله لا نرضى بهذه الصحيفة الظالمة ، لقد كانت شؤماً منذ ساعة كتابتها ، وشلت يد كاتبها ، ووالله لن نرضى حتى نشقها ويعود اهلنا من بني هاشم وبني المطلب إلى بيوتهم .

واسقط في يد أبي جهل ، وتملكته الحيرة ، فلم يعد يملك زمام نفسه ، واعتقد ان اكثر من بطن من بطون قريش قد اتفقوا على نقض الصحيفة ، وانه هو وقومه لا قبل لهم بهم ، ولن يستطيعوا الوقوف في سبيلهم .

فقال ، وقد استولت عليه حسرة اليأس ، وذل الهزيمة : هذا أمر قضي بليل ، تُشوور فيه بغير هذا المكان .

وتقدم المطعم بن عدي بخطى ثابتة ، فمزق الصحيفة شر ممزق ، وذهب الخمسة الذين تعاونوا على نقض الصحيفة وتمزيقها في نفر من من اهلهم واعوانهم لابسين السلاح إلى شعب « ابي طالب » ثم عادوا

مع بني هاشم وبني المطلب إلى مكة .

ودخـــل الذنن كانوا بالأمس مبعدين ومحصورين في الشعب إلى بيوتهم رافعي رؤوسهم .

لم يهنوا ولم يذلوا ولكنهم صبروا وصابروا طوال اعوام ثـلاثة ، حتى جعل الله لهم من امرهم يسراً ، ومما كانوا فيه من الضيق والحبس فرجاً ومخرجاً .

وكان رجوعهم في مستهل العـــام العاشر لمبعث رسول الله – ﷺ – .

وعلم « ابو جهل » واضرابه من سفهاء قريش ان بني هاشم وبني المطلب اصبحوا في منعـــة ، يعتزون باعوان اشداء لن يسلموهم لأعدائهم ، فأسقط في أيدي المشركين بعد ان تجرعوا مرارة الخزي والفشل .. »

★

أقول .. بطولة أخرى من بطولات خديجة .. عليها السلام ..

سيدة أشرفت على الحادية والستين من عمرها .. تتحمل كل ذلك العذاب في سبيل الله .. وتشارك بأموالها في تخفيف وطأة الحصار على مَن بالشِّعْب ..

إنها سيّدة عظيمة .. جليلة .. جديرة بالتوقير والتعظيم !!

اليك بعضاً مما قالوا في تصوير ما كان يَلقى اهل الشعب من الجوع :

« يحكى أن المؤمنين جهدوا من ضيق الحصار ، حتى إنهم كانوا ياكلون الخبط ، وورق السمر ، حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ..

« وكان فيهم سعد بن أبي وقاص ، روى أنه قال : لقد جعت حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب ، فوضعته في فمي وبلعته ، وما أدري ما هو إلى الآن .

« وكانوا إذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله ، يقوم أبو لهب ، عدو الله فيقول : يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم .

« فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً ، حتى يرجع إلى

أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يديه شيء يطعمهم بـه ، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللبـاس ، حتى جهد المسلمون ، ومن معهم جوعاً وعرياً » .

هذا قليل من كثير .. عاناه المحاصرون في الشعب ..

على امتداد ثلاث سنين ..

وكانت خديجـــة .. في قلب المعركة .. معركة التجويـع .. والاماتة ..

وزادها شرفاً .. أنها كانت قد تجـاوزت الستين !!

هل شهدت ..

خديجة عليها السلام ..

معجزة الاسراء والمعراج ؟!

قال سبحانه :

﴿ سُبْحانَ الذي أسْرَى بعبدِهِ ليلاً مِنَ المسْجِدِ الحرامِ إلى المسجِدِ الأقصَى الذي باركْنا حوْلَهُ لِنُريَهُ مِنْ آياتِنا إنَّهُ هوَ السَّميعُ البصيرُ . ﴾

[الإسراء : ١]

هـذا عن الاسراء .. فماذا عن المعراج؟!

قال سبحانه :

﴿ ما زاغَ البَصَرُ وما طَغَى ..

﴿ لقَدْ رأى مِنْ آياتِ ربِّهِ الكُبرىَ ﴾

[النجم ١٧ و ١٨]

والسؤال الذي نطرحه هنا :

هل شهدت السيدة خديجة .. عليها السلام .. حـادث .. أو معجزة الإسراء والمعراج ؟

قال الامام النووي .. شرحاً على حديث الإسراء .. في صحيح مسلم :

« إن الإسراء اقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً ..

وقـال الحربي :

« كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبـل الهجرة بسنة ..

وقال الزهري :

« كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ..

وقال ابن إسحاق :

« أسرى به ﷺ وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل ..

« واشبه هذه الاقوال .. قول الزهري .. وابن إسحاق ..

« إذ لم يختلفوا أن خديجة .. رضي الله عنها .. صلت معه .. ﷺ .. بعد فرض الصلاة عليه ..

« ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة .. قيل بثلاث سنين .. وقيل بخمس ..

« ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء .. »

اقول .. إذا اخذنا بالرأي القائل بأن الإسراء كان في السنة الخامسة .. أو بعد أن فشا الإسلام بمكة والقبائل ..

انتهينا إلى رأي يقول : بأن خديجة . عليها السلام .. كانت حاضرة .. وعلى قيد الحياة .. عند وقوع معجزة الاسراء والمعراج ..

وانها شهدت الأيام التي كانت فيها المعجزة ..

وأنها صلّت مع رسول الله .. ﷺ .. بعد فرض الصلاة عليه .. في ليلة المعراج !!

فكيف كان الاسراء .. وكيف كان المعراج .. وماذا جرى فيهما ؟!!

ذكر الاسراء والمعراج

قال ابن هشام :

ثم اسرى برسول الله .. ﷺ .. من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وهو بيت المقدس من إيلياء (مدينة بيت المقدس) .. وقد فشا الاسلام بمكة في قريش .. وفي القبائل كلها ..

رواية عبدالله بن مسعود

عن مسراه ﷺ

فكان عبدُ الله بن مسعود ـ فيما بلغني عنه ـ يقول :

أُتي رسولُ الله ﷺ بالبُراق ـ وهي الدّابةُ التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها في منتهى طرفها ـ فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والارض ،

حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى في نَفَر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلّى بهم .

ثم أُتِي بثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء .

فقال رسول الله ﷺ : فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرضت عليّ : إنْ أخذ الماء غرق وغَرِقتْ أمّته ، وإن أخذ الخمرَ غَوى وغَوتْ أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى وهديت أُمته .

قال : فأخذت إناءَ اللبن ، فشربت منه ، فقال لي جبريلُ عليه السلام : هُدِيت وهُدِيت أمتك يا محمد .

حديث الحسن عن مسراه ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحُدثت عن الحسن أنه قال :

قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم في الحِجْر ، إذ جاءني جبريلُ ، فهمزني بقدمه ، فجلست فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مَضْجعي .

فجاءني الثانيةَ فهمزني بقدمه ، فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدت إلى مَضْجعي .

فجاءني الثالثةَ فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضدي ، فقمت معه ، فخرج (بي) إلى بابِ المسجد ، فإذا دابّة أبيض ، بين البغل والحمار ، في فَخذيه جَناحان يحْفِز[1] بهما رجْليه ، يضع يده في منتهى طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته .

حديث قتادة عن مسراه ﷺ

قال ابن إسحاق :

وحُدّثت عن قَتادة أنه قال :

حُدثت أن رسولَ الله ﷺ قال : لما دنوتُ منه لأركبه

(١) يحفز . يدفع .

شَمس[1] ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعرفته[2] ، ثم قال : ألا تَستحي يا براق مما تَصْنع ، فوالله مــا ركبك عبدٌ لله قبلَ محمد أكرمُ عليه منه . قال : فــاستحيا حتى ارفضَّ عرقاً ، ثم قَرَّ حتى ركبته .

عود الى حديث الحسن ، عن مسراه ﷺ

وسبب تسمية ابي بكر : الصديق

قال الحسنُ في حديثه :

فمضى رسول الله ﷺ ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى في نفَر من الأنبياء ، فأمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلى بهم ، ثم أُتِيَ بإناءين ، في أحدهما خمر ، وفي الآخر لَبن .

---

(١) يقال : شمس الفرس : إذا لم يمكن أحداً من ظهره ولا من الاسراج والالجام ، ولا يكاد يستقر .

(٢) المعرفة : اللحم الذي ينبت عليه شعر العرف .

قال : فاخذ رسولُ الله ﷺ إناء اللبن ، فشَرب منه ، وترك إناء الخمر .

قال : فقال له جبريل : هُديت للفِطرة ، وهُديتْ أمتك يا محمد ، وحُرّمت عليكم الخمر .

ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غَدا على قريش فاخبرهم الخبرَ .

فقال أكثر الناس : هـذا والله الإمْر[1] البَيِّن ، والله إن العِير لتُطرد ، شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويَرجع إلى مكة !

قال : فارتدّ كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بَكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيتَ المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة .

قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا : بلى ، ها هو ذاك في المسجد يحدّث به الناس .

فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صَدق ، فما يُعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليُخبرني أنّ الخبر ليـاتيه (من الله) من السماء إلى

---

(١) الأمر العجيب المنكر .

الأرض في ساعةٍ من ليل او نهار فاصدّقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منـــه .

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبيّ الله ، أحدّثتَ هؤلاء القومَ أنك جئتَ بيت المقْدس هذه الليلة ؟

قال : نعم ؛ قال : يا نبيّ الله ، فصفْه لي ، فإني قد جئته .

قال الحسن :

فقال رسولُ الله ﷺ : فرُفع لي حتى نظرتُ اليه – فجعل رسولُ الله ﷺ يَصفـه لأبي بكر . ويقول أبو بكر : صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى (إذا) انتهى ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : وأنت يا ابا بكر الصدّيق .

فيومئـذ سمّاه الصّدّيق .

قـال الحسن :

وأنزل اللهُ تعالى فيمن ارتد عن اسلامه لذلك :

﴿ وما جعَلنا الرؤيا التي أرَيْناكَ إلا فِتنةً للناسِ ، والشجَرَةَ المَلْعُونةَ في القُرآنِ ، ونُخوّفُهُم ، فمَا يَزيدُهُم إلاّ طُغياناً كَبيراً ﴾ .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرى رسولِ الله ﷺ ، وما دخل فيه من حديث قتادة .

حديث أم هانىء عن مسراه

قال محمد بن إسحاق :

وكان فيما بلغني عن أمّ هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها ، واسمها هند ، في مسرى رسول الله ﷺ ، أنها كانت تقول :

ما أُسرى برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي ، نام عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونِمْنا ، فلما كان قُبيل الفجر أهَبَّنا رسولُ الله ﷺ ، فلما صلى الصبح وصلينا معه ، قال : يا أمْ هانىء ، لقد صليتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغَداة معكم الآن كما ترين .

ثم قام ليخرج ، فاخذْتُ بطَرف ردائه ، فتكشَّف عن بَطنه

كانه قُبْطِيَّة[1] مَطوية ، فقلت له : يا نبيّ الله ، لا تحدّث بهذا الناس فيكذّبوك ويُؤذوك .

قال : والله لأحدثهموه . قالت : فقلت لجارية لي حَبشيّة : ويحك اتبعي رسولَ الله ﷺ حتى تَسْمعي ما يقولُ للناس ، وما يقولون له .

فلما خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس اخبرهم ، فعَجبوا وقالوا : ما آيةُ ذلك يا محمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قطُّ .

قال : آية ذلك أني مَررْتُ بعِير بَني فلان بوادي كذا وكذا ، فانفرَهم حِسُّ الدابة ، فنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ ، فدَلَلْتُهم عليه ، وانا موجِّه إلى الشام . ثم اقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنان[2] مررتُ بعير بني فلان ، فوجدتُ القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان ؛

---

(١) القبطية (بالضم وتكسر) : ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة إلى القبط على غير قياس .

(٢) ضجنان (بالتحريك) : جبل بناحية تهامة .

وآية ذلك أن عِيرَهم الآن يَصوب [1] من البيضاء [2] ، ثَنيَة التَنعيم [3] ، يقدُمها جمل أوْرق [4] ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى بَرْقـاء [5] .

قالت : فابتدر القومُ الثنيَّة فلم يَلْقهم أولُ مِنَ [6] الجمل كما وصف لهم ، وسالوهم عن الإناء ، فاخبروهم أنهم وَضعوه مملوءاً ماء ثم غطوه ، وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ، ولم يجدوا فيه ماءً .

وسالوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذَكر ، وندّ لنا بعيرٌ ، فسَمعنا صوتَ رجل يدعونـا اليه ، حتى أخذناه .

---

(١) يصوب : ينزل من عل .

(٢) البيضاء : عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ ، وانت مقبل من المدينة تريد مكة ، أسفل مكة من قبل ذي طوي .

(٣) التنعيم : موضع بمكة في الجبل .

(٤) الأورق : الذي لونه بين الغبرة والسواد .

(٥) البرقاء : التي فيها الوان مختلفة .

(٦) يريد أن الجمل كان أول ما لقيهم .

قصة المعراج

حديث الخدري عن المعراج

قال ابن إسحاق :

وحدثني من لا أتهم عن ابي سَعيد الخُدريّ رضي الله عنه أنه قال :

سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : لما فرغتُ ممـا كان في بيت المَقْدس ، أُتي بالمعراج ، ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، وهو الذي يَمُدّ اليه ميتُكم عَيْنيه إذا حُضر ، فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء ، يقال له : باب الحَفَظة ، عليه مَلَك من الملائكة ، يقال له إسماعيل ، تحت يديه اثنا عشرَ الفَ مَلكٍ ، تحت يدي كل مَلك منهم اثنا عشر الفَ مَلك .

قال : يقول رسول الله ﷺ حين حدّث بهذا الحديث : ومـــا يعلم جنود ربك إلا هو ـ فلما دُخل بي ، قال : مَنْ هذا يا جبريل ؟ قال : (هذا) محمد . قال : أو قد بُعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لي بخير : وقاله .

عدم ضحك خازن النار للرسول ﷺ

قال ابن إسحــاق :

وحدثني بعضُ أهل العلمِ عمن حدثه عن رسول الله .. ﷺ .. أنه قال :

تلقّتني الملائكةُ حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقني مَلك إلا ضاحكاً مستبشراً ، يقول خيراً ويدعو به ، حتى لَقيني مَلَكٌ من الملائكة ، فقال مثلَ مـــا قالوا ، ودعا بمثل ما دَعوْا به ، إلا أنه لم يضحك ، ولم أرَ منه من البشر مثل ما رأيت من غيره .

فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قـــالت الملائكةُ ولم يضحك (إليّ) ، ولم أرَ منـــه من البشر مثل الذي رأيتُ منهم ؟

قال : فقال لي جبريلُ : أما إنه لو ضحك إلى أحدٍ كان قبلك ، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك ، لَضَحِكَ اليك ، ولكنه لا يضحك هذا مالكٌ خازن النار .

فقال رسول الله ﷺ : فقلت لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم « مُطاعٍ ثمَّ أمين » : ألا تأمره ان يُريني النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمداً النَّار .

قال : فكشف عنها غِطاءَها ، ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتاخذنَّ ما أرى .

قال : فقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرْه فَلْيردَّها إلى مكانها .

قال : فأمره . فقال لها أخبي ، فرجعتْ إلى مكانها الذي خرجت منه . فمَا شبَّهتُ رُجوعها إلا وقوع الظلّ . حتى إذا دخلت من حيثُ خرجت ردّ عليها غطاءها .

عود الى حديث الخدري عن المعراج

قال أبو سعيد الخدري في حديثه :

إن رسول الله ﷺ قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيت بها

رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بَني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويُسرّ به، ويقول: روح طيّبة خَرجت من جسد طيب، ويقول لبعضها إذا عُرضت عليه: أفّ. ويَعْبس بوجهه ويقول: روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث.

قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تُعرَض عليه ارواح ذرّيته، فإذا مرّت به روح المُؤْمن مِنهم سُرّ بها وقال: روح طيبة خرجت من جَسد طيب. وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفّف منها وكرهها، وساءه ذلك وقال: روحٌ خبيثةٌ خرجت من جَسد خبيث.

صفة اكلة اموال اليتامى

قال: ثم رأيت رجالاً لهم مشَافر كمشافر الإبل، في ايديهم قطع من نار كالأفهار [1]، يقذفونها في افواههم، فتخرج من ادبارهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة اموال

---

(١) الافهار: جمع فهر، وهو حجر على مقدار ملء الكف.

اليتامى ظلماً .

صفة اكلة الربا

قال : ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم ارَ مثلها قطُّ بسبيل آل فرعون[١] ، يمرّون عليهم كالإبل المَهْيومة[٢] حين يعرضون على النار ، يطئونهم لا يقدرون على ان يتحوّلوا من مكانهم ذلك .

قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اكلة الربا .

صفة الزناة

قال : ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم ثَمين طيّب ، إلى جنبه لحم غثّ منتن ، ياكلون من الغث المنتن ، ويتركون السمين الطيب .

---

(١) خص آل فرعون ، لأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة .

(٢) المهيومة : العطاش

قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قـــال : هولاء الذين يتركون ما احلّ الله لهم من النساء ، ويذّهبون إلى ما حرّم الله عليهم منهن .

صفة النساء اللاتي يدخلن على الازواج ما ليس منهم

قال : ثم رأيت نساء معلقـــات بثديّهن . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجـــال من ليس من اولادهم .

قال ابن إسحاق :

وحدثني جعفر بن عَمْرو ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال :

اشتدّ غضب الله على امرأة ادخلت على قوم مَنْ ليس منهم ،

فأكل حرائبهم[1]، وأطلع على عوراتهم .

عود الى حديث الخدري عن المعراج

ثم رجع إلى حديث ابي سعيد الخدري ، قال :

ثم اصعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مَريم ، ويحيى بن زكريا. قال : ثم اصعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البَدْر .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا اخوك يوسف بن يعقوب .

قال : ثم اصعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟ قال : هذا إدريس .

قال : يقولُ رسول الله ﷺ : ورفعناه مكاناً عليّاً .

قال : ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فاذا فيها كهل ابيضُ الرأس

---

(١) الحرائب : جمع حريبة ، وهي المال .

واللحية ، عظيم العَثْنون[1] ، لم أرَ كَهْلاً أجملَ منه .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا المُحبب في قومه هارون بن عمران .

قال : ثم اصعدني إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدم[2]، طويلٌ اقنى[3] ، كأنه من رجال شنوءة .

فقلت له : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى ابن عِمران .

ثم أصعدني إلى السماء السابعة ، فاذا فيها كَهْل جالس على كرْسي إلى باب البيت المَعمور ، يدخله كل يوم سَبعون الف ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أرَ رجلاً أشبهَ بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه .

قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم .

---

(١) العثنون : اللحية .

(٢) الآدم : الأسود

(٣) الأقنى : ما ارتفع أعلى أنفه واحدودب وسطه وسبغ طرفه .

قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيتُ فيهـــا جاريةً لعساء[1] ، فسألتهـــا : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها . فقالت : لزيد ابن حـارثة .

فبشر بها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق :

ومن حديث (عبدالله) بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ فيما بلغني :

أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمـد ؛ فيقولون : أو قد بُعث[2] ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حيَّاه الله من أخ وصاحب ! حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كلّ يوم .

---

(١) اللعس في الشفاه : حمرة تضرب إلى السواد .

(٢) وفي سائر الأصول : « أو قد بعث اليه ... الخ » .

مشورة موسى على الرسول عليهما السلام

في شأن تخفيف الصلاة

(قال) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فاقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى (بن) عِمران ، ونِعْم الصاحب كان لكم ، سالني كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كلّ يوم ، فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاساله أن يخفف عنك وعن أمتك .

فرجعتُ فسالت ربي أن يخفف عني وعن أمتي ، فوضع عني عشراً . .

ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثلَ ذلك .

فرجعت فسالت ربي ، فوضع عني عشراً .

ثم انصرفت فمررت على موسى ، فقال لي مثلَ ذلك .

فرجعت فسالته فوضع عني عشراً ، ثم لم يزل يقول لي مثلَ ذلك ، كلما رجعت اليه .

قال : فارجعْ فسأسال ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عني ، إلا خمس صلوات في كلّ يوم وليلة .

ثم رجعت إلى موسى ، فقال لي مثلَ ذلك ، فقلت : قد راجعت ربي وسألته ، حتى استحييتُ منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أدّهن منكم إيماناً بهنّ ، واحتساباً لهنّ ، كان له اجرُ خمسين صلاة ..

(مكتوبة) .

*

رواية البخاري في صحيحه

قال النبي ﷺ :

« بينْا أنا عند البيت بين النائم واليقظان .

« وذكر يعني رجلاً بين الرجلين .

« فأتيتُ بطست من ذهبٍ مُلِيءَ حكمة وإيمـــاناً .

« فشق من النحر إلى مراق البطن .

« ثم غسل البطن بماء زمزم .

« ثم مُلِيء حكمة وإيماناً .

« وأُتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق .

« فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا .

« قيل : مَن هذا ؟

« قال : جبريل .

« قيل : ومن معك ؟

« قيل : محمدٌ .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتيت على آدم فسلمت عليه .

« فقال : مرحباً بك من ابن ونبي .

« فأتينا السماء الثانية

« قيل : من هذا ؟

« قال : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قال : محمد ﷺ .

« قيل : أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فأتيت على عيسى ويحيى .

« فقالا : مرحباً بك من اخ ونبي .

« فأتينا السماء الثالثة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قال : محمدٌ .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فاتيت يوسف فسلمت عليه .

« قال : مرحباً بك من اخ ونبي .

« فـاتينا السماء الرابعة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قيل : محمد ﷺ .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« قال : نعم .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فاتينا على ادريس فسلمت عليـه .

« فقال : مرحباً بك من اخ ونبي .

« فاتينا السماء الخـامسة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : ومن معك ؟

« قيل : محمدٌ ﷺ .

« قيل : وقد أُرسل اليه .

« قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« قال : نعم .

« فاتينا على هارون فسلمت عليه .

« فقال : مرحباً بك من اخ ونبي .

« فاتينا على السماء السادسة .

« قيل : من هذا ؟

« قيل : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قيل : محمد صلى الله عليه وسلم .

« قيل : وقد أُرسل اليه ؟

« مرحباً به ولنعم المجيء جاء .

« فاتيت على موسى فسلمت عليه .

« فقال : مرحباً بك من اخ ونبي .

« فلمـــا جاوزت بكى .

« فقيل : مـــا ابكاك ؟.

« قال : يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنــة من أمته افضل مما يدخل من أمتي ؟!

« فاتينـــا السماء السابعة .

« قيل : من هذا ؟

« قال : جبريل .

« قيل : من معك ؟

« قيل : محمدٌ .

« قيل : وقد أرسل اليه ؟

« مرحباً به ونعم المجيء جاء .

« فاتيت على ابراهيم فسلمت عليه :

« فقال : مرحباً بك من إبن ونبي .

« فرُفعَ لي البيت المعمور .

« فسألت جبريل .

« فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف مَلك

إذا خرجوا لم يعودوا اليه آخِرَ ما عليهم .

« ورُفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبتها كانه قلال هجر وورقها كانه آذان الفيُول في اصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران .

« فقال : أما الباطنان ففي الجنة .

« وأما الظاهران النيل والفرات .

« ثم فرضت عليّ خمسون صلاة .

« فاقبلت حتى جئت موسى .

« فقال : ما صنعت ؟

« قلت : فرضت عليّ خمسون صلاة .

« قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني اسرائيل أشد المعالجة ، وإن امتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله .

« فرجعت ، فسألته .

« فجعلها أربعين .

« ثم مثله .

« ثم ثلاثين .

« ثم مثله .

« فجعـل عشرين .

« ثم مثله .

« فجعل عشراً .

« فاتيت موسى .

« فقال مثله .

« فجعل خمساً .

« فاتيت موسى .

« فقال : ما صنعت ؟

« قلت : جعلها خمساً .

« فقال : مثله .

« قلت : سلمت بخير .

« فنوديَ : إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشراً » .

قالوا :

« الصحيح انه أسري بالجسد والروح في القصة كلها .. وعليه يدل قوله تعالى ﴿سبحانه الذي أسرى بعبده﴾ إذ لو كان مناماً لقال

بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة ..

• ما ذُكر من شق الصدر .. واستخراج القلب .. وما يجري مجراه فان السبيل في ذلك التسليم .. دون التعرض بصرفه إلى وجه يتقوله متكلف .. إدعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول ..

• البراق ، اسم للدابة التي ركبها ﷺ تلك الليلة .. وقالوا اشتقاقه من البَرق .. لسرعته .. وقيل سمي به لشدة صفائه وتلألؤ لونه .. وقالوا البُراق دابة أبيض وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه .. يضع حافره في منتهى طرفه ..

• ذكر اهل السير والمفسرون انه لما ركب البراق أتى إلى بيت المقدس ومعه جبريل عليه الصلاة والسلام .. ولما فرغ أمره فيه .. نُصب له المعراج وهو السلم .. وصعد فيه إلى السماء .. ولم يكن الصعود على البراق كما يتوهمه بعض الناس .. بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس حتى يرجع عليه إلى مكة ..

• (وقد أرسل اليه ؟) أي أُطلِب وأُرسِلَ اليه .. وفي رواية أخرى .. وقد بُعث اليه للإسراء وصعود السماوات .. وقيل كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه .. أو للاستبشار بعروجه ..

إذ كان من البين عندهم ان احداً من البشر لا يترقى إلى أسباب السماوات من غير أن يأذن الله له .. ويأمر ملائكته باصعاده .. وإن جبريل عليه الصلاة والسلام لا يصعد بمن لم يرسل اليه .. ولا يفتح له أبواب السماء ..

• (مرحباً به) أي بمحمد .. ومعناه لقي رحباً وسعة .. وقيل معناه .. رحب الله به مرحباً .. فجعل مرحباً موضع الترحيب ..

• (ولنعم المجيء جاء) اي جاء فلنعم المجيء مجيئه ..

• (فأتيت على آدم فسلَّمت عليه) .. وأمر بالتسليم عليهم .. أي على الأنبياء الذين لقيهم في السماوات .. وعلى خزان السماوات وحراسها لأنه كان عابراً عليهم ..

• (فلما جاوزتُ بكى) قالوا . كان بكاؤه صلى الله عليه وسلم .. لأجل الرقة لقومه .. والشفقة عليهم .. حيث لم ينتفعوا بمتابعته انتفاع هذه الأمة بمتابعة نبيهم .. ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم ..

• (يا رب هذا الغلام) لم يرد موسى عليه السلام بذلك استقصار شأنه .. فان الغلام قد يُطلق ويُراد به القويّ الطريّ الشاب .. والمراد منه استقصار مدته .. مع استكثار فضائله .. وأمته

اتم سواد من امته ..

« وقال الخطــابي : قوله (الغلام) ليس على معنى الازراء والاستصغار لشانه .. إنما هو على تعظيم مِنَّة الله عليـه .. مما اناله من النعمة .. وأتحفه من الكرائم .. من غير طول عمر أفناه مجتهداً في طـاعته ..

« (فرُفِع لي البيت المعمور) اي كُشِفَ لي .. وقُرِّب مني .. كأنه أراد ان البيت المعمور ظهر له كل الظهور .. وكذلك سدرة المنتهى .. استبينت له كل الاستبانة .. حتى اطلع عليهـا كل الاطلاع ..

« (آخر ما عليهم) ذلك آخر ما عليهم من دخوله ..

« (ورُفعت لي سدرة المنتهى) سميت بها .. لأن علم الملائكة ينتهي اليها .. ولم يجاوزها احد .. إلا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« (نهران باطنان) قيل : هما السلسبيل والكوثر ..

« (نهران ظاهران) النيل والفرات .. قيـل : يخرجان من أصلها .. ثم يسيران حيث اراد الله تعالى .. ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيهـا ..

« (عالجتُ بني اسرائيل) اي مارستهم .. ولقيت منهم الشدة ..

فيما اردت منهم من الطـاعة ..

• (فـارجع إلى ربـك) اي إلى الموضع الذي ناجيت ربك فيه ..

• (فرجعتُ) اي إلى موضع مناجاتي ..

• (فسالته) اي فسالت اللهالتخفيف .

• (فجعلها) اي فجعل الفريضة التي قدرها اربعين صلاة ..

• (ثم مِثله) اي ثم قال موسى ﷺ .. مثله ..

• (ثم ثلاثين) اي ثم جعلها ثلاثين صلاة ..

• (ثم مِثله) أي ثم قال موسى ﷺ مثله ..

• (فجعل عشرين) اي عشرين صلاة ..

• (ثم مِثله) أي ثم قال موسى ﷺ مثله ..

• (فجعل عشراً) أي عشر صلوات ..

• (فاتيتُ موسى) أي في الموضع الذي لقيته فيه .. فقال موسى ايضاً مثله ..

• (فجعله خمساً) اي خمس صلوات ..

• (فقال : ما صنعتَ ؟) اي فقال موسى ﷺ : ماذا صنعت فيما رجعت ؟. وهذه هي المراجعة الأخيرة ..

• (قلتُ : جعلها خمساً) اي خمس صلوات .

• (فقال : سلمت بخير) اي فقال النبيّ ﷺ .. لموسى ﷺ .. سلّمتُ .. سلّمتُ له .. ما جعله من خمس صلوات .. فلم يبق لي مراجعة .. لأني استحييت من ربي .. كما مضى في حديث أبي ذر في اول كتاب الصلاة .. من قوله (ارجع إلى ربك ، قلتُ : استحييت من ربي) .. يعني من تعدد المراجعة ..

• (فنُودِيَ) اي فجاء النداء من قبل الله تعالى .. إني قد امضيت فريضتي .. أي انفذت فريضتي .. بخمس صلوات .. وخففتُ عن عبادي .. من خمسين إلى خمس .. وأجزي الحسنة عشراً .. فيحصل ثواب خمسين صلاة .. لكل صلاة ثواب عشر صلوات ..

• فان قلت : كيف جازت هذه المراجعة في باب الصلاة .. من رسولنا محمد .. وموسى .. عليهما الصلاة والسلام ؟

• قلتُ : لأنهما عرفا ان الأمر الأول غير واجب قطعاً .. ولو كان واجباً قطعاً .. لا يقبل التخفيف » !!

★

اقول . وشهدت خديجة .. عليها السلام .. ايام ذلك الحادث الفَذّ ..

شهدت أيام تلك المعجزة الكبرى .. معجزة الإسراء والمعراج ..

كانت هناك .. في مكة .. تسمع .. وترى ..

بل كانت أقرب الناس اليه .. ﷺ .. في تلك اللحظات المقدسة .. حين عاد من الرحلة ..

كيف كانت مشاعرها .. حين عاد ﷺ .. اليها وقد عُرِج به .. إلى ما وراء السماوات .. بل إلى ما وراء الإدراك ؟!!

أم كيف كان شعورها .. وهي تصلي معه الصلاة المفروضة .. بعد أن افترض الله عليه في تلك الليلة .. خمس صلوات ؟!!

لقد ازدادت له تصديقاً .. وإيماناً ..

إنّ أوّل رجل آمن (وهو أبو بكر) .. قال حين وصف له رسول الله .. ﷺ .. بيت المقدس : صدقْتَ .. أشهد أنك رسول الله !!

وإن لسان حال خديجة .. عليها السلام .. يقول في نفس المشهد : صدقْتَ .. أشهد أنك رسول الله !!

لماذا ؟!!

لأن أبا بكر .. كان أوَّل مَن آمنَ من الرجال ..
ولأنَّ خديجة .. كانت أوّل من آمنَ مِن النساء ..

فتحتّم أن تستقبل خديجة معجزة الإسراء والمعراج ..
بمثل ما استقبل أبو بكر الاسراء والمعراج !!

وفاة ..

ابي طالب ؟!

قال ابن الاثير :

• توفي أبو طالب .. وخديجة .. قبل الهجرة بثلاث سنين .. وبعد خروجهم من الشّعب ..

• فتوفيّ أبو طالب في شوّال .. أو في ذي القعدة ..

• وعمره بضع وثمانون سنة ..

• فعظمت المصيبة على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بهلاكهما ..

• فقال رسول الله .. ﷺ : ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ..

• وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب .. إلى ما لم يكونوا يصلون اليه في حياته .. حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه !!

• وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي !!

« وكان رسول الله .. ﷺ .. يُخرج ذلك على العود .. ويقول : أيّ جوار هذا يا بني عبد مناف !.

« ثم يلقيه بالطريق . »

*

وقال إبن هشام

وفاة ابي طالب وخديجة ..

صبر الرسول على ايذاء المشركين

« وكان النَّفَر الذين يُؤذون رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في بيته أبا لَهَب ، والحَكَمَ بن العاص بن أُميَّة ، وعُقْبة بن أبي مُعَيط ، وعديّ بن حَمراء الثّقفيّ ، وابنَ الأصْداء الهُذليّ ؛ وكانوا جيرانه لم يُسلم منهم أحد إلا الحَكم بن أبي العاص ، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه .. صلى الله عليه وسلم .. رَحم الشاة

وهو يُصَلي ، وكان احدهم يطرحها في بُرْمتـه[١] إذا نُصبت له ، حتى اتخـــذ رسولُ الله .. صلى الله عليه وسلم حجْراً[٢] يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليـه ذلك الأذى ، كما حدثني عمرُ بن عبد الله بن عُروة بن الزبير ، عن عُروة ابن الزبير ، يخرج بـه رسولُ الله ﷺ على العـود ، فيقف به على بابه .

ثم يقول . يا بَني عبد مناف ، أيّ جوارٍ هذا !

ثم يُلقيه في الطريق .

طمع المشركين في الرسول

بعد وفاة ابي طالب وخديجة !

قال إبن إسحاق

ثم إن خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هلَكا في عام واحد ،

(١) البرمة : القدر من الحجر .

(٢) الحجر : كل ما حجرته من حائط .

فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بهُلْك خَديجة .

وكانت له وَزيرَ صِدْق على الاسلام ، يشكو اليها .

وبهُلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحِرْزاً في أمره ، ومَنعَة وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشٌ من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تَطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سَفيهٌ من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

قال إبن إسحاق

فحدثني هشام بن عُروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال :

لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله ﷺ ذلك الترابَ ، دخل رسول الله ﷺ بيته والترابُ على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته ، فجعلت تغسل عنه الترابَ وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بُنية ، فإن الله مانعٌ أباك .

قال : ويقول بين ذلك . ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه ، حتى مات ابو طالب .

المشركون عند ابي طالب لما ثقل به المرض..
يطلبون عهداً بينهم وبين الرسول ..

قال ابن إسحاق :

ولمـــا اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثِقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حَمزة وعُمر قد اسلما ، وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قُريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى ابي طالب ، فلياخذ لنا على ابن اخيه ، وليُعطهِ منا ، والله ما نامن ان يَبْتزُّونا[1] أمرنا .

قال إبن إسحـاق :

فحدثني العباس بن عبدالله بن مَعبد ، عن بعض اهـــله ، عن ابن عباس ، قال :

مَشوْا إلى ابي طـالب فكلموه ، وهم اشراف قومـه . عتبـة

---

(١) ابتزه أمره : سلبه إياه وغلبه عليه .

ابن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعـة ، وأبو جهـل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وابو سفيان بن حَرْب ، في رجال من اشرافهم .

فقالوا : يا ابا طالب ، إنك منا حيث قد علمتَ ، وقد حَضرَك ما ترى ، وتخوّفنا عليك ، وقد علمتَ الذي بيننا وبين ابن اخيك ، فادعُـه ، فخذ له منا ، وُخذْ لنا منه ، ليكفّ عنا ، ونكفّ عنه ، وليدَعنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث اليه أبو طالب ، فجاءه ، فقـــال : يابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، ليُعطوك ، وليأخذوا منك .

قال : فقال رسول الله ﷺ : نعم ، كلمة واحدة تُعطونيهـــا تملكون بها العرب ، وتَدين لكم بها العجم .

قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلا الله ، وتَخلعون ما تعبدون من دونه .

قال : فصفّقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهـة إلهاً واحداً ، إنّ أمرك لعَجب !

ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً ممـــا تريدون ، فانطلقوا وامضُوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه .

قال : ثم تفرّقوا .

طمع الرسول في اسلام ابي طالب ..
وحديث ذلك !؟

فقال ابو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا بن اخي ، ما رأيتك سالتهم شططا .

قال : فلما قالها أبو طالب طَمِع رسول الله ﷺ في إسلامه ، فجعل يقول له . أي عمّ ، فأنتَ فقلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة .

قال : فلما رأى حرصَ رسول الله ﷺ ، قال : يابن أخي ، والله لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش إني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها .

قال : فلما تقارب من أبي طالب الموتُ ، قال : نظر العباس اليه يحرّك شفتيه ، قال . فاصغى اليه بأذنه .

قال : فقال يابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرتَه

أن يقولها .

قال : فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند ابي طالب !

قال : وأنزل الله تعالى في الرّهط الذين كانوا اجتمعوا اليه ، وقال لهم ما قال ، وردّوا عليه ما ردّوا

﴿ ص والقُرآن ذي الذِّكْر ، بَل الذينَ كَفَرُوا في عِزَّةٍ وشِقاقٍ ﴾ ..

إلى قوله تعالى :

﴿ اجعَلَ الآلهَةَ إلها واحِداً ، إنّ هَذا لَشَيْءٌ عُجابٌ . وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا واصْبِرُوا على آلهَتِكُمْ ، إنّ هَذا لشَيءٌ يُرَادُ . ما سَمِعْنا بِهَذا في المِلة الآخِرَة ﴾ .

يعنون النصارى .. لقولهم .

« إنَّ الله ثالثُ ثلاثـةٍ »

« إنْ هذا إلاَّ اختلاق . »

★

أقول .. ومـــات الرجل النبيل الجليل .. أبو طالب بن عبد المطلب ..

مات في النصف من شهر شعبان .. في السنة العـــاشرة .. من مبعث رسول الله .. ﷺ .

جاء عن ذلك .. في كتاب « خديجـة أم المؤمنين »

« كان موت أبي طالب صدمة عنيفة أصابت النبي الوفي لأهله ولكل من قدم اليه معروفاً .

فقد كان اكثر الناس حفاوة به وأكراماً له منذ طفولته عندما وصاه به جده عبد المطلب ، إذ بادر بضم ابن اخيـــه إلى اولاده يقاسمهم السراء والضراء ، وكان يحبه حباً شديداً ، فكان لا ينـــام إلا

إلى جنبه ، ويخرج خارج البيت فيخرج معه .

ومـــا زال كذلك حتى كبر وبلغ اثنتي عشرة سنة ، الف اثناءها صحبته .

فلما أراد ابو طالب المسيرة إلى الشام للتجارة مع القـــافلة القرشية ، قال له ابن أخيه : « أي عم ، إلى من تخلفني ههنا ، فمالي أم تكفلني ، ولا أحد يؤويني ؟ »

فرق له ثم اردفه خلفه ، ورحلا معاً في القـــافلة حتى نزلت بجوار صومعة يتعبد فيها راهب يدعى « بحيرا » ، فما إن رأى هذا الغـلام مع عمه حتى جعل يتفرس فيه ويلحظه لحظـــاً شديداً ، وينظر إلى علامات في جسمه كان يعلم عنها من القراءة في كتبـه المقدسة .

فلما كشف على ظهره ، رأى خـــاتم النبوة بين كتفيه فقبله ، وأخذ يوصي عمه به ، ويحذره من غدر اليهود ، فإن الله قد اختاره ليكون نبي هذه الأمـة .

واراد الله ان يكون هـذا النبي من العرب ، واليهود يريدون أن تكون النبوة مقصورة على بني إسرائيـــل ، ولذلك فسوف يحسدونه ، ولن يتورعوا عن القضاء عليـه إذا سنحت لهم الفرصة ووجدوا إلى قتله سبيلاً .

ثم شب إبن أخيه في كنفه ، فكان احب النـــاس اليه ، يفضله

ويقدمه على اولاده ، ويحوطه بعطفه ورعايته ، ويعنى بتنشئته حتى كبر واصبح رجلا

« افضل قومه مروءة ، واحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخـالطة ، وأحسنهم جواراً ، واعظمهم حلماً وأمانة ، واصدقهم حديثـاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى » .

وتحققت نبوءة الراهب « بحيرا » ، ونزل جبريل على رسول الله عندما بلغ الأربعين ، فاخبره أن الله اصطفاه وارسله نبياً شاهداً ، ومبشراً ونذيراً إلى قومه وإلى الناس كافة ، يدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد ، وإلى الأخلاق الفاضلة ، وينهاهم عن كل فاحشة .

فابى زعماء الأرستقراطية الوثنية أن يصدقوه ، ورفضوا ان يتركوا الشرك بالله ، فجعلوا الأوثان له انداداً وشركاء ، وحـاربوه حرباً عنيفة شرسة .

ولكن أبا طـالب وقف في وجه شياطينهم يذود عنه ، ونشر عليه مظلة من حمايته ، فلم يستطيعوا ان يحولوا بينه وبين رسالته برغم ما قاسى هو والذين آمنوا معه من عناء وتعذيب ، إلى ان كانت المقاطعة الظالمة والحصار اللعين ، فدخل معه أبوطالب ثلاثة أعوام في الشعب ، قاسى فيها شظف العيش ، حتى أذن الله لنبيه بالنصر ، فخرج ابو طـالب وابن اخيه وانصارهما موفوري الكرامة ، واصبحت لهم بين القبائل الكفة الراجحـة ، واصاب

المشركين الخزي والهزيمة .

فلما مات ابو طالب تنفس المشركون الصعداء ، لأن هذا الشيخ كان وحده القادر على ان يجمع حوله بني هاشم وبني المطلب الذين كانوا يأتمرون بأمره ويتبعونه دون جدال او مناقشة .

كما كان متصلاً بالنسب مع عشائر قريش الأخرى وبخاصة مع باقي بطون عبد مناف .

فكانت قريش كلها تحترمه وتهابه ، ولذلك نجح في تكوين جبهة صلبة وقفت بجواره تذود معه عن ابن اخيه ، وافلح في تعضيده ونصرته حتى النصر في معركة المقاطعة على شدتها ، وذاقوا امام صبره وكفاحه الهزيمة الشنيعة .

ولكن موته المفاجىء ، بعد هذا النصر ، قلب الموقف رأساً على عقب ، فتغير ميزان القوى بين الفريقين ، ورجحت كفة المشركين ، وشعروا بالقوة وغلبة الكثرة بعد الضعف ، واسترجعوا كبرياءهم .

وتطلع شياطينهم مرة اخرى إلى القضاء على « محمد » رغبة منهم في اجتثاث دعوته من جذورها حتى ينصروا اوثانهم ويسترجعوا ما فقدوه من كرامتهم ، واخذوا يتحينون لذلك الفرصة المواتية للانقضاض عليه .

ولما توفي أبو طالب ، ذهب عليّ ، كرّم الله وجهــه ، إلى رسول الله .. ﷺ .. فابلغه الخبر .. فحزن الرسول الوفي حزناً شديـداً ..

وقال لعـليّ :

« اذهب وغسله وداره غفر الله له ورحمه » ..

وغلب عليه الحزن .. فقال إنه سوف يستغفر له ربه ما لم ينهه الله عن ذلك ..

« واعتكف في منزله يستغفر الله له ويبكيه .. »

★

ثم ماذا ؟!

ثم مصيبة اخرى .. قد تكون اشد من موت أبي طالب !!

وفاة ..

أم المؤمنين خديجة ..

عليها السلام ؟!

اما

ابن الأثير فيقول :

« توفيّ ابو طالب .. وخديجة .. قبل الهجرة بثلاث سنين .. وبعد خروجهم من الشّعب ..

« فتوفيّ أبو طالب في شوّال .. او في ذي القعـدة .. وعمره بضع وثمانون سنة .

« وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً .. وقيل . كان بينهما خمسة وخمسون يومـــاً .. وقيل . ثلاثة ايام ..

« فعظمت المصيبة على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بهلاكهما .. »

اقول .. عند ابن الأثير .. انّ خديجة .. مـــاتت قبل أبي طالب ..

واما في (أسدِ الغابة) فيقول :

عن إبن إسحاق قال :

« ثم إن خديجة توفيت بعد ابي طالب .. وكانا ماتا في عام واحد .. فتتابعت على رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. المصائب بهلاك خديجة وابي طالب .. وكانت خديجة وزيرة صِدْق على الاسلام .. كان يسكن اليها ..

وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى :

« توفيت خديجة قبل الهجرة بخمس سنين ..

« وقيل . باربع سنين » ..

وقال عروة وقتادة :

« توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ..

« وهذا هو الصواب ..

وقالت عائشة :

« توفيت خديجة قبل ان تُفرض الصلاة ..

« قيل : إن وفاة خديجة كانت بعد ابي طالب بثلاثة

ايام ..

« وكان موتها في رمضان ..

« ودفنت بالحجون ..

« قيل : كان عمرها خمساً وستين سنة . »

اما الامام العيني في شرحه على البخاري فيقول :

« كانت إذ تزوجها رسول الله .. ﷺ .. بنت اربعين سنة ..

« واقامت معه اربعاً وعشرين سنة ..

« وتوفيت وهي بنت اربع وستين سنة .. وستة اشهر ..

« وتوفيت قبل الهجرة بخمس سنين .. وقيل باربع ..

وقال قتادة :

« قبل الهجرة بثلاث سنين ..

قال أبو عمر :

« قول قتادة عندنا أصح ..

وقال أبو عمر :

« يقال إنها توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام ..

« توفيت في شهر رمضان ..

« ودفنت في الحجون ..

وأمـــا في كتاب (خديجة ام المؤمنين) فيقول :

« وانتقلت إلى جوار الواحد الأحد ..

« في اليوم العاشر .. من شهر رمضان ..

في العام العاشر .. من بداية إشراق فجر الاسلام ..

« بعد موت ابي طـــالب بشهر وخمسة أيام .. »

ماذا نستخلص من هذه الروايات ؟!

أنّ خديجة .. عليهـــا السلام .. ماتت بعد وفاة أبي طالب ، بأيام معـدودات ..

وأنها توفيت .. قبل الهجرة بثلاث سنين .. وهذا هو الأصح ..

وأنّ عُمرُها عند الوفاة كان خمساً وستين سنة .. وقيل : وهي بنت أربع وستين سنة وستة أشهر .. أي وهي تقطع العام الخامس والستين ..

وأنّ وفاتها كانت في اليوم العاشر من شهر رمضان .. في العام

العاشر من البعثة .

وأنها دُفنت في الَحجون .. بمكة المكرمة .

هذا ما تيسَّر لنا استخلاصه .. في شان وفـــاة أم المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام ..

أما تصوير مشهد الوفـــاة .. كما ذهب إلى ذلك .. بعض مَن كتبوا في الموضوع ..

فإني لا أفعل كمـــا فعلوا ..

لكن أقول : ينبغي تنزيه المقام .. عن لغو الكلام !!

شخصية ..

خديجة ..

عليها السلام ؟ !

لماذا

اختارها الله .. من دون نساء العالمين .. لتكون زوجـاً له .. ﷺ .. قبل النبوة .. وفي بداية النبوة ؟!

لماذا كانت ذات مـال ؟!

لماذا كانت هي أوَّل مَن آمن على الاطلاق .. لم يسبقهـا رجل ولا امرأة إلى الاسلام ؟!

لماذا .. ولماذا .. ولن تجد جواباً على هذا .. حتى تفرغ من قراءة هذا الفصل كامـلاً !!

أوَّل خلق الله اسلم ..

باجماع المسلمين ؟!

هـذا مقام عظيم .. تنفرد به أم المؤمنين خديجة .. عليها السلام ..

قالوا :

« خديجة بنتُ خُوَيلد ..

« أم المؤمنين ..

« زوج النبي .. صلى الله عليه وسلم ..

« اول امرأة تزوّجها ..

« واول خلق الله اسْلمَ ..

« باجماع المسلمين ..

« لم يتقدمها رجل ولا امرأة .. » !!

ما معنى هذا ؟!

معناه أنها تنفرد بمقام .. لا يشاركها فيه أحد .. رُجلاً كان أو امرأة ..

معناه أنَّ على كلّ رجل .. وعلى كلّ امرأة .. في هذه الأُمة ، إلى أن تقوم الساعة ، أن يُوَقرها ، ويعرف لها فضلها وَسبقها ..

إنّ فَرْقَ ما بين إيمان خديجة .. وإيمان فردٍ منا ، كفرْق ما بين السماء والأرض ..

جاءهـا .. يقُصّ عليها ، ما كان مِن بدء الوحي اليه .. صلى الله عليه وسلم ..

فكانت له .. قُرَّة عين .. ومودَّة .. وإيماناً فوق ذلك !!

إن مصيبتنا وبليَّتنا ، نحن أبناء الاسلام اليوم .. أننا أخذنا الإسلام ميراثاً عن الآباء .. سهلاً ليِّناً سائغاً للشاربين ..

صلوات نؤديها ، وتسبيحات نهتزُّ بها .. ثم نتمطى إلى فرُشنا ، كسالى .. لا نفقه من هذا الاسلام شيئاً .. إلا ان نتعبد لندخل الجنة !!

لكن هؤلاء .. لم يكونوا كذلك ..

كانوا شيئاً آخر .. كانوا زلزلة تزلزل الأرض .. فتستجيب لهم السماء ..

اشتركوا في بناء بنيان الاسلام ، لبنة لبنة ..

وتعبوا وضحّوا بالأنفس والأموال والأوطان والأولاد والآباء ، ليرتفع البناء .

ثم جئنا من بعدهم بغباتنا ، ورثنا هذا الاسلام ، فأثقلناه بجهلنا ووهّنّا وضعفنا ..

وبلغ من هوانٍ .. أن جمّدنا الاسلام الذي هو أوسع من السماوات والأرض .. جمدناه في صلوات وتراتيل !!

لكن اصحابه كانوا شيئاً آخر .. غير هذا الغثاء !!

فإذا قيل .. خديجة أول خلق الله أسلمَ .. باجماع المسلمين .. لم يتقدمها رجل ولا امرأة ، تحتم على عقولنا أن تتفكّر ..

كيف كانت عزيمة امرأة ، تواجه حدثاً جديداً كهذا لأوّل مرة في حياتها ، وحياة العالم أجمع ؟!

ألم تفكر تلك المرأة العظمى .. ما معنى ان زوجها قد صار نبيّاً .. وما يستتبع ذلك من متاعب تعجز عن حملها الجبال ؟!

ها هو ورقة ابن عمها .. يؤكد لزوجها .. أنّ قومه سوف يؤذونه ، ويخرجونه ..

فماذا هي صانعة آنذاك .. حين يفعلون أفاعيلهم بزوجها وبها ؟!

إنما مَثَلُ خديجة .. لحظة إيمانها برسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. كمثل مَن فاجأته ريح عاصف قاصف ، وهو في وسط البحر ، فإن لم يستجمع قواه كلها .. ابتلعه البحر واغرقه ..

كذلكم كانت .. وهي تستمع اليه .. ﷺ ..

كانت قوّة قاهرة .. قهرت ظلمات الكفر والشرك والضلال ..

وخرجت من تلك الظلمات كلها ، إلى النور ..

فآمنت به ، وبما رأى .

وهتفت ، من أعماق فؤادها :

« كلاّ .. والله .. ما يُخزيكَ الله ابداً » !!

فأين إيمان امرأة آمنت اليوم ..

من إيمان امرأة ، استقبلت الموجة الأولى وحدها ..

لم يكن فوق الأرض .. مؤمناً .. ولا مؤمنة .. إلاّ إياها !!

عليها السلام !!

الطاهرة ؟!

« كانت تدعى في الجاهلية : الطاهرة » ..

اشتهرت خديجة قبل الاسلام بالطاهرة ..

فما معنى هذا ؟

معناه أن هناك اجماعاً من قومها على فضائلها وحسن أخلاقها !!

كانت تاجرة ؟!

« كانت خديجة امرأة تاجرة .. ذات شرَف ومال .. »

أقول .. أصلحُ الناس للسياسة .. الذين يعملون في التجارة ، لأن التاجر يباشر الحياة يومياً .. ويلتقي مع نوعيات من البشر ..

فيكسبه ذلك معرفة بحقائق الحياة .. وواقع الناس ..

ومن هنـــا .. أدركت خديجـة في سرعة .. عظمة معدن رسول الله .. ﷺ .. وأنه معدن آخر .. غير معادن الرجال ..

« وعرضت عليه ان يخرج في مالها إلى الشام تاجراً .. وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار .. » !!

حازمة .. لبيبة .. شريفة ؟!

« وكانت خديجة امرأة حازمة لبيبة شريفة .. »

هذه عناصر مكونات شخصيتها ..

حـازمة ؟!. تدير الأمور في حزم وعزم .. لا تسيُّب ولا إهمـال ..

لبيبة .. سريعة الفَهْم .. سريعة الادراك .. تمتـــاز بذكاء خـارق ..

شريفة .. فهي من أعلى نساء قريش نسبـاً .. وهي شريفـة الخصال .. تنأى عن سفاسف الأمور .. وتسعى إلى أعاليها ..

وهذه كلها صفات لازمة .. ومطلوب توافرها في المرأة التي سوف ترشحها الأقدار لتكون زوجة للنبيّ القادم !!

أعظم نساء قريش شرفاً ؟!

كانّ المطلوب هو البحث عن امرأة .. على أن تكون خير امرأة في قريش .. لتصبح زوجاً .. لخير رجل في قريش ..

فكانت خديجة .. خير امرأة في قريش ..

هي التي تصلح زوجة .. لخير رجل في قريش .. محمد .. الأمين ..

وسارت الأمور .. لتحقيق ذلك الهدف

﴿ إنّا كلّ شيْءٍ خلقناه بقدَرٍ . ﴾ ..

نعم .. إنه التدبير الإلهي .. أُلحكم !!

« فلما أخبرها ميسرة .. بعثت إلى رسول الله .. ﷺ .. فقالت له :

« إني قد رَغبتُ فيك .. لقرابتك مني .. وشرفك في قومك .. وأمـــانتك عندهم .. وحسن خُلقك .. وصدق حديثك » ..

إنها تبحث عن اعظم رجل في قريش .. تبحث عن الرجل الذي يوازيها في المحاسن .. ليكون ندّاً لها .. أهلاً لزواجها ..

فوجدته .. بل وجدت أعظم مما كانت تتصور ..

فهو أشرف قومه نَسَباً ..

وأعظمهم أمانة .. (الأمين) ..

وأحسنهم خُلُقاً ..

وأصدقهم حديثاً ..

« ثم عرضت عليه نفسها ..

« وكانت أوسط نساء قريش نسباً ..

« وأعظمهم شرفاً ..

« واكثرهم مالا .. » !!

فالتقت في زواجها .. المحاسن بالمحاسن ..

كل اولئك كان عند ربّك مقدوراً !!

فولدت .. اولاده كلهم ..

الا ابراهيم ؟!

« ولدت له خديجة غلامين .. واربع بنات .. »

فما الاشارة من هذا ؟.

الاشارة أنها سيدة وَدُودٌ وَلودٌ .. وهاتان الصفتان همـا خير صفات الزوجة الصالحة ..

وكانت من صفات خديجة ..

فقد ثبت أنها ولدت لمن تزوجاها قبل رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

« وكانت خديجة .. قبل رسول الله .. ﷺ .. تحت ابي هاله بن زُرارة ..

« ثم خلف عليها .. بعد ابي هالة .. عتيقُ بن عابد ..

« فولدت له « هند بنت عتيق » .. »

وقد ورد كذلك انها ولدت لأبي هالة ..

« هند بنت أبي هالة .. وهالة بن أبي هالة » ..

« فهند بنت عتيق ..

« وهند .. وهالة .. إبنا أبي هـالة .. كلهم إخوة اولادِ رسول الله .. ﷺ .. من خديجة . »

ثم ماذا ؟!

ثم كانت الذرية الطاهرة فيما بعد .. من نسل خديجة !!

اعظم لحظة في حياتها ؟!

تقدم أن اعظم لحظة في حياتها .. كانت حين استقبلت مفاجأة الوحي .. وقالت :

« كلا .. واللهِ .. لا يُخزيك الله أبداً » ..

ولكن الجديد هنا هو : ما هي شخصية خـديجة .. في ضوء هذا المشهد ؟!

يدلّ هذا المشهد على أنها شخصية قوية غاية القوة ..

« فرجع بها رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. يرجُفُ فؤاده .. فدخل على خديجة .. فقال زَمّلوني .. فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع .. وقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خَشيتُ على نفسي ..

« فقـــالت خديجة « كلا والله لا يخزيك الله أبداً .. إنك لتصلُ الرحمَ .. »

الخ ..

ها هنـــا قوة الشخصية .. لم تتزلزل .. لم ترتجف .. لم تتوهم أوهاماً كما هي عادة النساء ..

وإنما ثبات وتثبيت .. وتأكيد وتبشير لرسول الله .. صلى الله عليه وسلم ..

ثم أتبعت ذلك كله بما يدلّ على رجاحة عقلها .. وأنهـا حقـاً امرأة لبيبة ..

« وانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ..

« يا ابن عمّ .. اسمع من ابن أخيك » ..

هكذا تصرفت سريعاً !!

عقل راجح .. وحزم في الامور !!

قوّة عقلية خارقة ؟!

عن خديجة أنها قالت لرسول الله .. ﷺ :

« يا ابن عم .. هل تستطيع أن تُخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك ؟

« قال : نعم ..

« فبينا رسول الله .. ﷺ .. عندها .. إذ جاءه جبريل ..

« فقال رسول الله .. ﷺ : هذا جبريل قد جاءني ..

« فقالت : أتراه الآن ؟

« قال : نعم .

« قالت : اجلس على شِقّي الأيسر ..

« فجلس ..

« فقالت : هل تراه الآن ؟.

« قال : نعم ..

« قالت : فاجلس على شقي الأيمن ..

« فجلس ..

« فقالت : هل تراه الآن ؟

« قال : نعم ..

« قالت : فتحوَّل فاجلس في حجري ..

« فتحول رسول الله ﷺ .. فجلس ..

« فقالت : هل تراه ؟

« قال : نعم ..

« قال : فتحسَّرت (قعدت حاسرة مكشوفة الرأس) والقت خمارها ..

« فقالت : هل تراه ؟

« قال : لا ..

« قالت : ما هذا شيطان .. إن هذا لَملَك يا ابن عَمْ .. اثبت وأبشر ..

« ثم آمنت به ..

« وشهدت ان الذي جاء به الحق . » !!

★

أقول .. هذه قصة خطيرة جداً .. في فَهْم شخصية خديجة ..

إنها قامت باختبار معملي – بلغة اليوم – لتتأكد بنفسها هل الجائي مَلَك أم شيطان ..

ثلاث مرات .. تطلب من رسول الله .. صلى الله عليه وسلم . أن يجلس ..

« اجلس على شِقّي الأيسر ..

« فاجلس على شِقّي الايمن ..

« فتحوّل .. فاجلس في حجري .. »

وفي كل مرة تسأله : هل تراه الآن ؟

ورسول الله .. ﷺ .. يجيب في كل مرّة : نعم !!

ثم القت خمارها .. وقعدت مكشوفة الرأس ..

فقالت : هل تراه ؟

قال : لا ..

فاستدلت بعبقريتها .. وبالتجربة العملية التي لا تكذب .. على ان الذي ياتي إلى رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. مَلَك وليس بشيطان !!

« مــــا هذا شيطان .. إن هذا لمَلَك يا ابن عمّ .. اثبت وابشر .. »

وتاكد لخديجة أنه مَلَك .. وما هو بشيطـان .. حين اختفى من المجلس عندما جلست مكشوفة الرأس .. لأن الملائكـة لا تطلع على العورات !

اختبارات معملية .. ونتائج عملية .. واستنتاجـات منطقية .. اليس هذا دليل العبقرية ؟!

اثبت .. وابشر ؟!

أن تتاكد خديجة أنّ الذي ياتي مَلَك وليس بشيطان .. قـد

يكون هذا شيئاً ممكناً من امرأة ممتازة عقلاً وتفكيراً ..

ولكن الذي يثير الدهشة حقاً .. أن تبادر لفورها إلى الايمان، برسول الله .. ﷺ ..

« ما هذا شيطان ..

« إن هذا لملَك يا ابن عمْ ..

« اثبُت !!

« وابشر !!

« ثم آمنت به !!

« وشهدت ان الذي جاء به الحق » !!

ولا تحسبنَّ أن هذه المواقف ممكنة لأي بَشر .. كلاّ .. فإنها تؤمن بشيء لم يسبقها اليه أحد .. وهذا يحتاج إلى قوة خارقة .. توازي القوى المضادة للايمان .. توازي قوة الناس جميعاً آنذاك .. حيث لم يكن مؤمناً على وجه الأرض إلا خديجة !!

وأعجب وأعجب ..

ان تثبّت رسول الله .. ﷺ .. وان تبشره ..

« اثبت .. وابشِر » !!

فهل في النساء مِثل خديجة ؟!

فَرَّج الله عنه بها ؟!

« وكانت خديجة أوّل مَن آمن بالله ورسوله ..

« وصدّق بما جاءَ به ..

« فخفَّف الله بذلك عن رسول الله .. ﷺ ..

« لا يسمع شيئاً يكرهه من رَدٍّ عليه .. وتكذيب له .. فيحزنه ..

« إلا فَرَّج الله عنه بها ..

« إذا رجع اليها تُثَبِّته .. وتخفِّف عنه .. وتصدِّقه ..

« وتهون عليه أمر الناس .. رضي الله عنها . »

*

اقول .. هذا أخطر دور لخديجة في حياة رسول الله ..

ﷺ ..

فردٌ .. واحدٌ .. لا ثاني له ..

حمَّله الله .. أثقل تكليف يُلقى على بَشر ..

لا أحدَ من حوله .. يؤمن به .. أو يُصدِّقه ..

فتتقدَّم تلك المرأة اليه .. وهو وحدَه ..

وحيداً؟! لا يجد من يُصَدِّقه من الناس ..

فتاتي سيدة الاسلام الأولى .. فتؤمن به .. وتصدِّق بما جاء به ..

ويشعر .. ﷺ .. لأوَّل مرَّة .. انَّ هناك بَشَراً يُصَدِّقه !!

عليكِ سلام الله .. يا أمَّاه .. يا أم المؤمنينَ ..

حين آنسْتِ رسول الله .. ﷺ ..

وحين خفّقتِ عنه ..

وحين صَدَّقتِ بما جاءَ به !!

لماذا بيتها في الجنَّةِ ..

لا صَخب فيه ولا نصب ؟!

كما جعلت بيتها في الدنيا .. جنّة .. لا صَخَب فيهـــا ولا نصَب ..

فإن الجزاء من جنس العمل .. جعل الله بيتها في الجنة .. لا صخب فيه ولا نصب !!

وهـذا دور آخر خطير .. قامت به خديجة .. في حيـــاة رسول الله .. ﷺ ..

خمساً وعشرين سنة ، جعلت فيها بيتها جنة وارفة الظلال ، فـــلا ضجيج ولا صخب .. ولا نصب ــ أي تعب ــ يصيب رسول الله .. ﷺ .. في بيتها .. وإنما هي تحمل عنه متـــاعب الحياة الزوجية وهمومها ..

ما أعظم الدور الذي قامت به خديجة .. في حياة رسول الله.. ﷺ ..

فهي تعمل دائماً ليكون أسعد زوج ..

وهو حريص أن يجعلها أسعد زوجة ..

فلما أكرمه الله بالنبوة .. كانت أشد حرصاً عن ذي قبل .. على تحقيق الجو الملائم لتلك المرحلة الخطيرة ..

فزادت من حفاوتها .. برسول الله .. ﷺ ..

وزادت من السكينة اللازمة لتنزُّل الوحي .. ولقاء الملائكة ..

فأعطاها الله بدلاً من بيتها في الدنيا .. الذي هو بيت رسول الله .. ﷺ ..

بيتاً في الجنة من قَصب .. لا صَخب فيه ولا نَصب !!

وهل جزاء الإحسان ، إلا الإحسان ؟!

إشارة جميلة جداً ؟!

خديجة جعلت بيتها مدة خمس وعشرين سنة .. جنة لا تسمع فيها صخباً ، ولا تحس فيها بنَصَب ..

وكل ذلك كان منها عن حُبٍّ وتضحية وإخلاص ..

وكان لذلك أكبر الأثر في حياة زوجها .. ﷺ .. وأداء الرسالة التي أمره الله بابلاغها .

فأثابها بدلاً من الخمس وعشرين سنة .. نعيماً أبدياً ..

وبدلاً من بيتها من الطين والحجارة .. بيتاً من قَصب ، من لؤلؤ مجوف ..

وبدلاً من السكون والسكينة ، في بيتها الدنيوي .. بيتاً لا صخب فيه ولا نصب !!

احدى الكاملات الاربع ؟

عن ابن عباس قال :

« خطّ رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في الأرض أربع خطوط ..

« قال : أتدرون ما هذا ؟

« قالوا : الله ورسوله أعلم ..

« فقال رسول الله .. ﷺ :

« أفضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد ..

« وفاطمة بنت محمد ..

« ومريم بنت عمران ..

« وآسية بنت مُزاحم امرأة فرعون . »

[مسند الإمام أحمد]

أمّا خديجة .. فهي ما علمتَ وقرأتَ ..

عبقرية في اختيار محمد .. ﷺ .. زوجاً لهـــا ..

القت بأشراف قريش بعيداً .. وعرضت نفسها عليه ..

فاثبتت بـذلك عبقريتها في اختيار الرجال !

وعبقرية في التمييز بين الحقّ والباطل ..

القت بمعتقدات قومها كلها .. وآمنت بالله ورسوله .. قبل أن يؤمن بذلك أحد على ظهر الأرض !!

وعبقرية في تحويل بيتها إلى معبد يموج بأمواج الايمان ..

فبدأت بنفسها فآمنت ..

ثم دفعت بناتها الأربع فآمنّ ..

وآمن عليّ بن أبي طالب ..

وآمن زيد بن حارثة ..

فتحول البيت إلى معبـد .. على رأسه رسول الله .. صلى الله عليـه وسلم ..

هي وبناتها الأربع مؤمنات ..

وعليّ بن أبي طالب .. أوّل صبيّ آمن ..

وزيد بن حـــارثة .. أول من آمن بعد عليٍّ في البيت

الكريم ..

فتحول البيت النبوي إلى معبد .. يموج بالايمان موجا ..

كما تتلألأ عبقريتها في تثبيتها لرسول اللهِ .. صلى الله عليه وسلم :

« اثبت وابشر » ..

اني رُزِقت حُبها ؟!

ها هنا مفتاح خطير .. من مفاتيح الشخصية ..

أنَّ رسول الله .. ﷺ .. كان يُحبُّها ..

ونص الحديث :

عن عائشة قالت :

« ما غِرْتُ على نساء النبيّ .. ﷺ .

« إلاَّ على خديجةَ .. وإني لم أدركها ..

« قالت : وكان رسولُ الله .. ﷺ .. إذا ذَبح الشاةَ فيقولُ :

أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجةَ ..

« قالتْ : فاغضبْتُهُ يوماً .. فقُلتُ : خديجةَ ..

« فقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم : إني قَدْ رُزقت حبَّها . »

[أخرجه مسلم]

ومن حيث أن النبيّ .. ﷺ .. لم يتزوّج على خديجة حتى مـــاتت ..

فمعنى هـذا ان خديجة .. منفردة .. ظفرت بحُـبّ النبيّ .. ﷺ .. لها .. مدة خمس وعشرين سنة ..

ومن حيث أن النبيّ .. ﷺ .. كان يذكرها كثيراً بعـــد ممـــاتها ..

فمعنى هذا أن خديجة .. كانت أحبّ نسائه اليه .. حيَّـة .. ومَيْتــة ..

أمّا في حياتها .. فقد انفردت بحبّه .. لم يشركها في حبّه احد من النساء ، حيث لم يتزوج عليها حتى ماتت ..

وأما في مماتها .. فكانت أحبّ اليه ، وكان حُبُّه إياها .. يثير غيرة عائشة ..

عن عـائشة قالت :

« ما غِرْتُ على امرأةٍ .. ما غِرْتُ على خديجةَ ..

« ولقدْ هَلكتْ قبل ان يتزوّجني بثلاثِ سنينَ ..

« لِما كنتُ أسمعُهُ يَـذكرُها ..

« ولقدْ أمرَهُ ربُّهُ عزّ وجلّ ان يُبشِّرَها ببيْتٍ مِن قصبٍ في الجنّـةِ ..

« وإن كانَ ليذبَحُ الشاةَ ثم يُهدِيَها إلى خلائِلِها . »

[أخرجه مسلم]

وفي هذا الحديث دلائل حُبِّه .. ﷺ .. لخديجة .. بعـد موتهـــا ..

فإن علامة الحبّ .. كثرة ذكر المحبوب ..

وكانت عائشة تغار من خديجة .. بعد موتها .. ورغم أنها لم تُدركها ..

لأنها تشعر ان النبي .. ﷺ .. ما زال على حُبّها .. رغم أنها قد ماتت !!

وهذا هو أعلى الحبّ ..

الحبُّ الذي يستمر بعد وفاة المحبوب ، بل يزيد !!

لماذا أحبها أكثر ؟!

إذا قال .. ﷺ :

إني رُزقتُ حبَّها ..

تحتم أن نسال : لماذا أحبها ، وظلّ يذكرها ويثني عليها بعد مماتها ؟!

الجواب مكنون في الحديث الآتي :

عن عائشة قالت :

« كان رسول الله .. ﷺ .. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة

« فيحسن الثناءَ عليها ..

« فذكرها يوماً من الأيام ، فأدركتني الغيرة ، فقلت : هل كانت إلا عجوزاً .. فقد أبدلك الله خيراً منها ؟!

« فغضب حتى اهتز مُقدّم شعره من الغضب ..

« ثم قال :

« لا .. والله ما أبدلني الله خيراً منها ..

« آمنَتْ إذ كفر النــاس ..

« وصدّقتني وكذّبني الناس ..

« وواستني في مالها إذ حرمني الناس ..

« ورزقني الله منهـــا اولاداً إذ حرمني اولاد النساء ..

« قـــالت عـائشة : فقلتُ في نفسي : لا أذكرهـا بسيئة أبداً . » !!

اقول .. يُستنبط من قوله :

(والله ما ابدلني الله خيراً منها) ..

ان خديجة أفضل نساء النبي .. ﷺ .. على الاطلاق .. حيث ان النبيّ ﷺ .. يُقْسِم ما أبدله الله خيراً منها .. إذن هي خـير نسائه ، حيث لا احد منهنّ خيراً منها !!

و يستنبط من قوله :

(آمنتْ إذ كفرَ الناس) ..

أنها أوّل من آمنَ على الاطلاق .. لم يسبقها رجل ولا امرأة ، وانّ سبقها هـذا إلى الايمان به ﷺ .. زاده حُبّاً لها ، فإن الشدائد تكشف حقيقة المعادن .. وها هي خـديجة تسارع الى تصديقه .. وتسبق الناس جميعـاً إلى ذلك ..

لم تتلعثم .. لم تتريث .. لم تتفكر .. ولكن فوراً ، وفي قوّة وثبات واستعداد للتضحية بكل ما تملك في سبيل الله ، وفي تأييد رسول الله .. زوجها الذي تحبه من قبل ان يُبعث ، وازدادت له حبّاً بعد أن بُعِثَ !!

لقد كانت خديجة عظيمة الحبّ لمحمد ، قبل ان يُبعث ..

تحبه من كل قلبها ، ويملك عليها فؤادها ..

فلما أنباها أنّ الله قد بعثه رسولاً ... آمنت به من فورهـا ، لأنها تُحبّه حُبّاً شديداً .. وتعلم بالتجربة طيلة خمس عشرة سنة ، أنه صادق ، أمين .. لم يكذبها قطّ ، وأنه على خُلُق عظيم ، لم تسمع ولم تشهد خُلُقاً مثل خُلُقِه ..

ومن لم يكذب على الناس .. مستحيل أن يكذب على الله ..

ومَن كان هذا خُلُقُه مستحيل أن يفتري على الله كذبـاً ..

فآمنت به لفورها يدفعها إلى الايمان سببان ..

الأول .. أنها تُحبّه اكثر من حُبّهـا لنفسها ..

الثاني .. أنها تعلمه علم اليقين .. انهـــا تعلمُ : مَن محمد ؟!
ما جرّبت عليه كذباً قط ، ولا رأت منه عَيْباً قطّ .. فمن يكون النبيّ إن لم يكن محمـــد ؟!

ولذلك صدّقته فوراً ، وسجّل لهـا ذلك النبيّ .. صلى الله عليـه وسلم :

(وصدّقتني وكذّبني الناس) ..

ويُستنبط من ذلك ان موقفها حين صدّقته أوّل الناس حيث كـذّبه الناس .. زاده ﷺ .. حُباً لها على حبٍّ !!

وهكذا تزوجته .. ﷺ .. عن حُبٍّ ..

ودليل ذلك قولها له :

« إني قد رَغبتُ فيكَ » ..

وتزوجها رسول الله .. ﷺ .. وعاشرها خمساً وعشرين سنة ، وهو يحبها :

« إني قد رُزقتُ حُبّها » ..

زوجان متحـابان ..

فلما بعثه الله رسولاً ، ازدادت له حُبّاً .

فلما اندفعت إلى الايمان به .. ازداد لها حُبّاً ..

وهكذا مع الأيام والليالي ، تبارك ذلك الحب القائم بينهما .. وأثمر وأينع ..

حتى إذا ماتت خديجة ، بقي حبُّها حيّاً يتجدد مع الأيام ..

« كان رسول الله .. ﷺ .. لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة .. فيحسن الثناء عليها .. » !!

خيرُ نسائها خديجة ؟!

عن عليّ .. رضي الله عنه ..

« عن النبيّ .. ﷺ .. قال :

« خيرُ نسائها مريَمُ ..

« وخيرُ نسائها خديجةُ .. »

[أخرجه البخاري]

قالوا : الضمير (الأول) في « نسائها » يرجع إلى الأمة التي كانت فيها مريم عليها الصلاة والسلام ..

و (الثاني) إلى هذه الأمة .. ولهذا كرر الكلام تنبيهاً على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الأخرى ..

وقيل : المراد نساء الدنيا .. وان الضميرين يرجعان إلى الدنيا .. أي : خير نساء الدنيا ..

أقول .. على القول الأول .. خديجة خير نساء الامة ..

وعلى القول الثاني .. خديجة خير نساء الدنيا ..

وسواء هذا أو ذاك .. فإنها ارتفعت إلى هذا المقام .. بأنها أول حلق الله أسلم .. لم يسبقها رجل ولا إمرأة إلى الاسلام !!

يا رسول الله .. اين أمي .. خديجة ؟!

عن عائشة .. رضي الله عنها .. قالت :

« ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبيّ .. ﷺ .. مـــا غِرْتُ على خديجةَ ..

« هَلكت قبلَ أن يتزوّجني ..

« لما كنتُ اسمعُهُ يذكرُها ..

« وأمرَه اللهُ أن يُبشرَها ببيتٍ من قَصبٍ ..

« وإن كانَ ليذبحُ الشاةَ فيُهدي في خلائلها منها ما يسعُهُنّ . »

[أخرجه البخاري]

« ببيتٍ من قَصب » يقال : القصب هنــا اللؤلؤ المجوف الواسع كالقصر المنيف ..

« وقد جاء في رواية عبدالله بن وهب : قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله وما بيت من قَصب ؟ قال : بيت من لؤلؤة مجوفة .. »

وروى أبو القاسم بن مطير ـ باسناده ـ عن فاطمة .. رضي الله تعالى عنها ، سيدة نساء العالمين ، انها قالت :

« يا رسول الله .. أين أمي خديجة ؟

« قال : في بيت من قصب ، لا لغو فيه ولا نصب ، بـين مريم وآسية امرأة فرعون ..

« قالت : يا رسول الله : أمن هذا القصب ؟

« قال : لا .. من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت » !!

وقالوا : كيف بشرها ببيت وأدنى اهل الجنة منزلةَ من يعطى مسيرة

الف عام في الجنة ، كما في حديث ابن عمر عند الترمذي ؟!

قيل : ببيت زائد على ما أعده الله لها من ثواب اعمالها ..

وقيل : إنه من باب المشاكلة ، لأنها كانت ربة بيت في الاسلام ، ولم يكن على وجه الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وإن كان أشرف منه .. كما قيل

« من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة » ..

لم يرد مثله في كونه مسجداً ولا في صنعته ، ولكنه قابل البنيان بالبنيان ..

« كما بنى .. بنى له .. » !!

ان الله هو السلام .. وعلى جبريل السلام .. وعليك يا رسول الله السلام .. ورحمة الله وبركاته ؟!

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال :

« أتى جبريلُ .. النبي . ﷺ .. فقال :

« يا رسولَ الله .. هذه خديجةُ قدْ أتتْ معها إناءٌ فيهِ إدامٌ ـ أوْ طعامٌ أو شرابٌ ـ

« فاذا هي أتتكَ فاقرأْ عليها السلام ..

« مِن ربّها ..

« ومني .

« وبَشّرْها ببيتٍ في الجنةِ من قَصبٍ لا صَخبَ فيه ولا نصبَ .

[أخرجه البخاري]

قالوا : وللنسائي ـ من رواية أنس ـ

« قال : قال جبريل للنبي .. ﷺ :

« إن الله يقرىء خديجة السلام ..

« يعني : فأخبرها ..

« فقالت : إن الله هو السلام ..

« وعلى جبريل السلام ..

« وعليك يا رسول الله السلام .. ورحمة الله وبركاته . » !!

السلامُ عليكِ .. يا أمّ المؤمنين ..

السلامُ عليكِ .. يا من َسلم عليكِ .. ربُ العالمين ..

السلامُ عليكِ .. يا َمن َسلم عليكِ .. جبريلُ الامين ..

السلامُ عليكِ .. ورحمة الله وبركاته !!

— تمّ —

فهرس

	صفحة
مقدمة	٧
هذه .. هي خديجة ؟!	٩
الخطوط العريضة .. من حياة أم المؤمنين.. ١ ــ ماذا قبل البعثة ؟	٣٣
الخطوط العريضة .. من حياة ام المؤمنين .. ٢ ــ البعثة ؟	٥٧
نبيان عظيان .. في زواجهما .. يتشابهان ؟!	١١٥
كيف تَمَّ .. الزواج .. المبارك ؟!	١٢٩
خمس عشرة سنة .. في ظلال حياة .. زوجية سعيدة ؟!	١٤٥
خديجة عليها السلام .. في أعظم .. لحظة في حياتها ؟!	١٥٥
ثورة .. قريش .. المضادة ؟!	١٧١
عندما قالت خديجة .. لرسول الله .. ﷺ :	

صفحة

إني لأرجو ان تكون .. نبيّ هذه الأمة ؟!	١٧٧
خديجة .. اول مَن توضأ .. وأوّل مَن صلى ؟!	١٩٩
أهل البيت الكريم .. يؤمنون تباعا .. بعد خديجة .. عليها السلام !	٢٠٧
أمّ المؤمنين .. خديجة .. عليها السلام .. في قلب الاحداث !	٢١٧
خديجة عليها السلام .. تشهد هجرة رُقيّة ، مع زوجها عثمان .. إلى الحبشة !	٢٢٥
خديجة عليها السلام .. صامدة في المقاطعة والحصار .. بجوار زوجها العظيم .. ﷺ !!	٢٣٣
هل شهدت .. خديجة عليها السلام ، معجزة الاسراء والمعراج !	٢٦٣
وفاة .. ابي طالب !!	٣٠٣
وفاة .. ام المؤمنين خديجة .. عليها السلام !،	٣١٩
شخصية .. خديجة .. عليها السلام ؟	٣٥٧
فهرس	٣٦٥

ماذا في هذا الكتاب ؟!

فيه حياة أوّل مَن آمنَ على الاطلاق !

فيه حياة مَن قال عنها رسول الله ..
ﷺ : « والله .. ما ابدلني الله خيراً منها .. آمنت بي إذ كفر النـــاس ، وصدقتني إذ كذبني الناس . وواستني في مالها إذ حرمني الناس ، ورزقني منها الولد إذ حرمني اولاد النساء » !

وقال : « .. خيرُ نسائها خديجةُ

فيه « حياة أم المؤمنين خديجة »

عليها السلام !!